

موقف محمد علي من مسألة الامور

الدكتور جميل عبيد
و الدكتور مكّي حبيب المؤمن

«أبكتب الله لك النصر يا بني فاذا كتب لك أسأله تعالى ان
يبت فيك فضيلة الرفق: كن عدواً مع الاعداء ولكن كن
حليماً ومتسامحاً مع الضعيف» محمد علي (1)

(1) Rochfort Scott: Ramlles in Egypt and Candia VolTT p.224

تبعث مصر منذ اوائل القرن السادس عشر الدولة العثمانية كولاية من ولاياتها العديدة .
وجرت السلطنة العثمانية على السير وفقاً لسياسة ادارية اساسها تبديل الولاة الذين تعينهم على
كل من ولاياتها بعد فترة قد لا تتجاوز العام وقد لا تزيد عن ثلاثة اعوام في افضل الظروف .

وجاء محمد علي (٢) الى مصر كأحد قادة الفرقة الالبانية التي دخلت مصر مع الجيش العثماني
بعد انسحاب الحملة الفرنسية منها وسرعان ما استطاع ايجاد صلات طيبة ومناسبة مع العناصر
المختلفة ذات النفوذ بمصر وخاصة المماليك والعلماء المصريين .

وعندما ثار رجال الجيش العثماني في مصر بسبب تأخير صرف رواتبهم وعاثوا في البلاد
فساداً وعجز الولاة العثمانيون عن السيطرة على المرقف ، لجأ اليه العلماء من المصريين باسم
الشعب ليتولى امور البلاد وبعثوا الى سلطان تركيا سليم الثالث اذ ذاك برجائهم لأعطاء محمد
علي باشوية مصر بدلاً من باشوية جلدة التي قررت له .

وهكذا تولى محمد علي في سنة ١٨٠٥ باشوية مصر أو القاهرة كمجرد موظف من موظفي
السلطنة العثمانية ووفق ما جرى عليه العرف فقد كان من المحتمل الا يبقى في وظيفته تلك مدة
تتجاوز الاعوام الثلاثة على احسن الاحتمالات (٣) .

ادرك محمد علي اذن منذ توليه امر مصر بعد فترة عسكرية أن لا بقاء له في منصبه الا

٢ - ولد محمد علي في عام ١٧٦٩ أو ١٧٧٠ في قرية تقع على قمة تلك الصخرة الموغلة في
البحر على بعد ١٢٨ كيلومتراً شرقي سلانيك ، ٣٢٠ كم غربي الاسكندرية . وكان والده يدعى
ابراهيم اغا يعمل رئيساً للحرس المكلف بحراسة الطرق- ويظهر انه توفي ولمحمد علي ١٥ عاماً .
ويبدو انه اشترك مع تاجر فرنسي في تجارة الدخان كما قيل في رواية اخرى انه عمل احياناً مع
رجال الامن التابعين لحاكم قولة وفاز بشقته حتى عينه قائداً لحرسه . وذكر محمد علي ذاته عن
حياته الاولى انه عين ضابطاً في الاسطول العثماني ثم رقي الى رتبة يوزباشي لما اثبتته من شجاعة
اثارت حسد الكثيرين بما فيهم عمه ذاته فارسله الى مصر مع الفرقة الالبانية
كريم ثابت : محمد علي ص ١٤ - ٢٠

Philip .K.Hitti: Hist. of the Arabs pp.722-27.

Puckler-Muskau : Travels and Adventures in Egypt p. 319

G.Gouin : L' Egypte an XIX Liecle pp. 321-322

٣ - شفيق غربال : محمد علي الكبير ص ٢٦ - ٣٦

Carlton J. H.Hayes : A Political History of Modern Europe Vol. II p.513

برضاء السلطان . والسلطان يمكن ان يرضى عنه اذا استطاع اغداق الاموال والهدايا عليه ولكنه برغم هذا يعلم تماماً ان رضاء السلطان لا يضمن في كل الاحوال بل أن تأييد علماء مصر له وتأييد الجند له قد يكونان من عوامل تشكك السلطان في امره واهدافه .

ولكن الاحداث التي احسن محمد علي استغلالها كانت من عوامل اطالة بقاءه في مصر فترة بعد اخرى . فقد نجح في عام ١٨٠٧ في صد حملة فريزر الانجليزية وهزمها بفضل تعاون قوة محلية مع المقاومة الشعبية لاهالي رشيد . فكان هذا النجاح بعد ما اصابه من توفيق في اخضاع ممالك مصر من عوامل اقناع سلطان تركيا بمدى ما يمكن ان يعود عليه من فائدة اذا ابقى على محمد علي واليا على مصر . (٤)

اقتنع اذن السلطان بأنه وجد في مصر التي تعرضت للغزو الاوربي مرتين - من فرنسا ثم من قبل انجلترا - في خلال سنوات قليلة قبل اقتنع بأنه وجد فيه الرجل الذي يستطيع ان يعتمد عليه فرضى عنه وضم اليه حكم الاسكندرية كما ضم اليه ادارة الجمارك المصرية . وبدأ يعد للافادة من هذا الرجل في تحقيق اغراض السياسة العثمانية نحو ولاياتها المتناثرة في الشرق والغرب والتي كانت تجيش بالثورات والفتن فضلاً عن الحركات الانفصالية . فالدولة العثمانية اذ ذاك كما عرف عنها هي رجل اوربا المريض او المتهالك المتهالك بفعل الانقسامات والثورات والمؤامرات فضلاً عن الفساد الاداري الداخلي . ومع انه كان في دور الاحتضار الا انه بقي على قيد الحياة بفضل ما كان لدول اوربا الكبرى - روسيا وفرنسا والنمسا وانجلترا - من اطماع في املاكه ، وبفضل اختلاف تلك الدول وما نشب بينها من صراع مستمر او معلن حول الكيفية التي يتم بها اقتسام املاك الدولة العثمانية الشاسعة (5) .

وكان من اهم تلك الفتن التي ظهرت في جسم الدولة العثمانية ما عرف باسم الحركة الوهابية التي قامت في بلاد العرب . وقد بدأت تلك الحركة اولا في صورة دينية هدفها ازالة بعض الشوائب التي لحقت بالديانة الاسلامية ولم تلبث ان تحولت الى حركة سياسية عسكرية حين احتضنها آل سعود واستولوا على المدن الاسلامية المقدسة وخاصة مكة والمدينة

٤ - د . احمد عزت عبدالكريم وآخرون : مجمل تاريخ مصر ص ٣٠٥ - ٣٠٨

The New Cambridge Modern History Vol IX pp. 533-534.

(5) William Miller : The Ottoman Empire 1801-1913 pp.1- 15

ومنعوا ورود الحجاج مما اثار سخط العالم الاسلامي ووضع سلطان تركيا وحامي حمى الاسلام في وضع العاجز عن حماية اقامة الشعائر الاسلامية .

وهنا ضغط سلطان تركيا على محمد علي ليرسل جزءا من قواته لاختضاع هذه الثورة ولم يجد هذا بـأ من ان يلبي امر السلطان في عام ١٨١١ فدخل في حرب مع الوهابيين ببلاد العرب استمر حتى عام ١٨١٨ وانتهت بإعادة نفوذ السلطنة التركية إلى تلك المنطقة الحساسة بالنسبة للعالم الاسلامي .. وكان هذا هو اول ميدان خارجي عمل فيه محمد علي وجرب فيه قوته الناشئة وقد نجحت التجربة واستطاع ان يؤدي خدمة جليلة للسلطان العثماني فضلا عن العالم الاسلامي الذي عرف بما لديه من قدرة وما له من فضل (٦) .

وقد كان للحرب الوهابية او للحرب في بلاد العرب فضل آخر له طابع ايدولوجي على محمد علي . ذلك انه بصفته واليا على تركيا لم تكن له فرصة - بفعل السياسة التركية - للاستقرار حيث نجح ونجدهم وعاوله في داخل الدولة العثمانية أو من داخل العالم الشرقي والعالم الاسلامي بالمفهوم الاوسع . وبالتالي فان عدم الاستقرار لم يعطه الوقت الكافي لاعداد سياسة خارجية بعيدة المدى تؤكد صالح مصر وتؤكد بقاءه فيها بعيداً عن خطر العزل أو النقل بعد استغلاله إلى ابعاد حدود الاستغلال وبعد استنزاف الولاية التي ولى امرها - مصر وما اضيف اليها - إلى ابعاد حدود الاستنزاف مما جرى العرف العثماني عليه ومما كان محمد علي مدركا له لا بعد حدود الادراك . نقول انه مع حرمان محمد علي من فرصة الاستقرار أو الاطمئنان على بقاءه في وظيفته اي ولايته على مصر الا ان تلك الحملة قد ألقت عليه دروسا تلقاها منها في تحديد علاقته - فيما بعد - بالدول الاوربية وكيفية الاستفادة منها او من الصراخ والتنافس الموجود بينها . ذلك ان حملته على بلاد العرب اضطرته للعمل في البحر الاحمر ، واضطرته للعمل ايضا من مدخل البحر الاحمر إلى المحيط الهندي . بالاضافة إلى جهات الخليج العربي . ولان الانجليز كانوا شديدي الحساسية في كل النقاط التي توصلهم للهند فانهم طالبوا محمد علي بتجنب العمل في مناطق عدن والخليج العربي تحاشياً للاحتكاك بين القوات بل طالبوه بتجنب بلاد الحبشة لذات القرض . وقد اثر محمد علي فعلا تجنب مواطن الاحتكاك وقد ادرك على وجه الخصوص مدى قوة الجيوش البريطانية التي تواجهه من الامام في البحر الابيض ومن الخلف في عدن والخليج العربي مفضلا ايجاد علاقات صداقة وتبادل تجاري معها او بعبارة اخرى مفضلا ايجاد مصالح مشتركة بينهما تربطهما ببعض وقد تتيح له الحصول على تأييدها

٦ - د. احمد عزت عبد الكريم وسواه : مجمل تاريخ مصر ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ٣٣١ - ٣٣٩

The New Cambridge Modern History .Vol IX p. 534.

اي بريطانيا - له اذا اراد السلطان ابعاده عن مصر وولايتها او عزاه وذلك بنفضل مالها من نفوذ في بلاطه (٧) .

وقد عمل محمد علي ايضا على التوسع في السودان بحجة ظاهرة هي القضاء على امراء الممالك الذين تجمعوا على اطراف حدود مصر وهددوا سلامتها وبالتالي سلامة السلطنة العثمانية التي لاتمثل مصر الا ولاية من ولايتها ، وبهدف جوهرى هو الحصول على موارد جديدة للثروة الخام فضلا عن الذهب المزعوم وايضا طمعاً في تجنيد قوة من السودانيين تعوض خسائره في الرجال وتزيده قوة فوق قوة وترفع امكانياته في خدمة العالم العثماني الذي تمثل مصر احد محتوياته اذ ذاك فضلا عن تحقيق طموحاته الشخصية (٨) .

وهكذا عمل محمد علي في الاقطار العربية... في شبه الجزيرة العربية... وفي السودان، تطبيقاً من كل قيد ... لا دخل لحكومة السلطان في خططه ومشروعاته الا بتدبير القاب التشریف وسيوفه وجواهره وتنمية عبارات الاطراء والحمد له ولائاً 'ابراهيم' (٩) .

ولم تحاول القوى الاوربية الاصطدام به علنا كما انه هو كان يتحاشى ذلك كما رأينا: فالسياسة الفرنسية اذ ذاك كانت اقرب إلى الجمود والهدوء منها إلى النشاط والحركة، والسياسة الانجليزية رغم عدم ارتياحها إلى استعانة محمد علي باستشارين فرنسيين الا انها كانت لا تمثل كثيراً إلى التدخل في شؤونه الا بتدبير تنبيهه إلى الاتحاد عن مناطق نفوذها وتجارتها إلى الهند . وهكذا سمحت الفرصة لمحمد علي لينظم وحدات جيشه المصري وينشئ اسطوله البحري ويزيد موارد مصر وموارده (١٠)

وفي ابريل عام ١٨٢١ انتهز يرنان المورة فرصة عصيان علي باشا والى يانينا (١١)

٧ - د. احمد عزت عبد الكريم : مجمل تاريخ مصر ص ٣٣١ - ٣٣٩
شفيق غربال : محمد علي الكبير ص ١١٩ - ١٢٢ ، ١٣٢

8 — The New Cambridge Modern History Vo' IX P. 534

٩ - شفيق غربال : محمد علي الكبير ص ١٣٢

H. Dodwell: The founder of modern Egypt P. 68

١١ - عندما ادرك علي باشا والى يانينا مدى تخوف السلطان من نفوذه المتزايد وعندما عزل السلطان ابنه من ولاية المورة ونقله الى ولاية اصفر دبر علي باشا مؤامرة للتخلص من احد اعدائه الذين يعملون في حاشية السلطان والذين دأبوا على تحريضه عليه الا ان المؤامرة كشفت فمزله السلطان وعين عدوه المذكور بدلا منه على ولايته وهنا حاول علي باشا الاستعانة باليونانيين ولكنه فشل في النهاية .

W . Miller :The Ottoman Empire pp. 63-65

فقاموا بثورة عنيفة ضد الاتراك العثمانيين لها جذور عميقة وابعاد واسعة (١٢) .
لقد كانت الامبراطورية العثمانية في اوائل القرن التاسع عشر بمثابة جسم كبير له قلب
ضعيف فاملاكها متسعة وولاياتها عديدة من البلقان والشرق وشمال افريقيا ولكن يغلب
عليها التفكك بسبب ضعف القوة المركزية واتجاه الولايات نحو التخلص من سيطرة تلك
السلطة المركزية سواء بنعل حكامها او بنعل شعوبها .

والواقع ان القوة الاساسية التي عرضت الامبراطورية العثمانية العريقة للانفجار والتمزق
لم تكن خارجية بقدر ما كانت داخلية منبعها القوميات التي بدأت تنمو وتنظم وتعلم
وتقوى نفسها تدريجياً . (١٣)

وقد بدأت مجمعة من القوميات المسيحية الصغيرة تظهر في اماكن مبعثرة من
شبه جزيرة البلقان بين العرب واليونان والبلغار والرومان هدفها طرح نير
الاستعمار التركي والتمتع بحياة قومية حرة مستقلة ولم يكن من سبيل امام تلك
القوميات للحصول على حريتها سوى الثورة . وقد شجع اليونان على ثورتهم
سريان الافكار التحريرية التي نشرتها الثورة الفرنسية في جميع انحاء اوربا والتي نقلها إلى اليونان
طلاب العلم من اهلها الذين درسوا بالخارج فضلا عن الادباء الذين احبوا في اليونانيين
ذكريات مجدهم الخالد وحضارتهم العريقة التي هال عليها للحكم العثماني تراب النسيان.

١٢ - محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية العلية ص ٢٢٧ - ٢٢٨

M.D I Staganorvie :The Great Powers .P.2 .

١٣ - تمتاز الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٧٨ بقيام الثورات والحركات القومية الوطنية وتمثل في
امتين كبيرتين ايطاليا والمانيا واربع قوميات صغيرة هي اليونان وبلجيكا والصرب ورومانيا .
ولم يقدر لهذه القوميات باستثناء القومية الالمانية النجاح دون عون خارجي . ومعظم هذه القوميات
يدين بالعون لدولتين هما انجلترا وفرنسا واما روسيا فركزت عونها في دول البلقان .

Ramsay Muir : Nationalism and Internationalism P 87

١٤ - كان المسلمون يمتلكون ثلثي ارض اليونان رغم ان تعدادهم لم يتجاوز عشر السكان في ذلك
الحين . ومع ان سكان الجبال كانوا يحبون حياة اقرب الى البداوة محرومين من الامن
والاستقرار الا ان التجارة والمدارس ابقت على الاتصال بين بعض الاقاليم اليونانية والعالم
الخارجي بمجرياته .

New Cambridge Modern History P.544.

واذا اضعفنا إلى ذلك توفر عوامل التجمع للحركة اليونانية عن طريق المراكز الدينية والكنائس الارثوذكسية المنتشرة في بلاد اليونان والتي سمح الحكم التركي ببقائها - تنفيذاً لسياسة التسامح الديني او تحت ضغط من الدول العظمى او بتأثير الجالية اليونانية التي وصل بمحض افرادها في استانبول إلى اعلى المناصب «١٥» - مما وفر للثورة سهولة الانتشار خاصة اذا اضعفنا ذلك التعزيز المستمر الذي كانت تتلقاه من كنيسة روسيا التي سمحت للجمعيات اليونانية السرية بممارسة نشاطها في روسيا واوكرانيا «١٦»

ولما كانت تركيا ترى في تمرد «الرعاية المسيحية» عليها تطاولاً لا يحتمل فان الباب العالي كان يسعى تارة إلى سبق الاحداث بإقامة المذابح وهي مذابح كانت تزداد عنفاً كلما ازدادت قواه وهنا . وقد جاءت الحركة الاولى في سبيل حرية البلقان من الصرب الذين ثاروا في عام ١٨٠٤ بزعامة قره جورج او جورج الاسود وحازوا بعض الانتصارات وخاصة في عام ١٨٠٦ الا ان الترك تغلبوا عليهم في النهاية واضطر قره جورج إلى الهرب وقبل زعيم آخر للصرب هو مليوس التفاهم مع الاتراك بمد ثورة اخرى تزعم فيها الصرب ضد الاتراك عام ١٨١٥ على قاعدة اعتراف الصرب بالتبعية للدولة العثمانية مقابل بعض مظاهر الاستقلال الداخلي مثل انشاء مجلس قومي نيابي وجمع الضرائب تحت اشرافهم «١٧»

وفي عام ١٨٢١ جاءت الاثياء بقيام امير يوناني هو اسكندر اسلنتي Alesander ysilanti - وهو الابن الأكبر لحاكم مولدافيا وولاشيا وحفيد الحاكم آخر واحد القادة الذين عملوا في الجيش الروسي حيث فقد ذراعه اليمنى في احدى المعارك الحربية - بثورة في اقليم مولدافيا وكان من العوامل التي اهلته لقيادة تلك الثورة اصله النبيل وصلته بروسيا فضلاً عن شجاعته الشخصية وتحمسه للفكرة وقصة هذه الثورة ترتبط بتلك الجمعية السرية التي عرفت باسم جمعية الاخوان The Netairia Philibe التي تأسست في عام ١٨١٤ / ١٨١٥ في اوكرانيا والتي تزايد اعضاؤها ببطء في اول الامر وحتى عام ١٨١٨ ثم تحول مؤشر الزيادة من الشمال إلى الجنوب الى

(١٥) ومنها منصب «ترجمان الباب العالي» وحاكي مولدافيا وولاشيا (رومانيا الحالية)
Albert Hournal : A Vision of Hsitory .P.77.

(١٦) محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية العلية ص ٢٢٨ - ٢٣٠
Albert Hournal : op. cit .PP. 77, 79-80
W. Miller : op. cit .PP. 48-57.
17-W. Miller: op. Cit . P.66

من الدانوب الى اليونان . وابتداء من ١٨١٩ تحول الانضمام الى فروع تلك الجمعية الى سيل بل الى فيضان ولعل الغموض الذي احاط بنشأة تلك الجمعية والذي احاط بقيادتها وزعمائها كان من عوامل الجذب لها فاسماء القادة غير معروفة واساليب التنظيم اشبه بتلك المتبعة في الجمعيات الماسونية وخاصة من حيث تقسيم الاعضاء الى مستويات سبع . وهناك شائعات قوية بان القيادة العليا او الفعلية انما هي لروسيا وغيرها من القوى وان كانت مستمرة بل اعتقد كثيرون بان كابودسترياس Capodisterias وزير القيصر اليوناني الاصل كان على رأس الحركة . وعندما رفض هذا التورط فيما عرض عليه من قيادة الحركة آلت القيادة العليا للامير السابق الذكر اسكندر ابسلنتي . وقد نصحه انصاره بتركيز جهوده في منطقة البلووينيز والجزر اليونانية ولكنه لم ينصت لنصائحهم بل وجه كل جهده الى اقليم مولداڤيا حيث كانت اسرته تتولى الحكم مكتفياً بإرسال بعض الاعوان لاثارة بلاد البلووينيز في الجنوب والجزر اليونانية وقد اعلن الثورة متوقفاً ان يخف القيصر لمعونته «١٩» . ولكن القيصر اسكندر اذ ذاك لم يستطع التورط في هذه العمالة رغم ميوله لأنه كان واقفا تحت تأثير سياسة مترنيخ وزير النمسا والعهود المتفق عليها بشأن احترام اصحاب الحقوق الشرعية ولذا اعلن تبرأه من هذه الحركة ومن هنا تيسر للترك اخضاع هذه الحركة التي لم تستمر اكثر من ستة اشهر بسهولة ونال مترنيخ شرف استضافة الناصر الاغريتي النبيل الاصل في احد سجون النمسا لمدة سبع سنوات وعندما افرج عنه مات خلال عام في النمسا «٢٠»

لم يكن هذا نهاية للثورة اليونانية بل بداية لها . فان اعضاء الجمعية السرية ، جمعية الاخوان ، تجاوز عددهم الان المائتي الف . واصبح من بين اهدافهم طرد المسلمين وتحرير جميع الاقاليم الاغريتيية وضمها الى الام الكبرى او بمعنى آخر اعادة الامبراطورية الاغريتيية القديمة الى القسطنطينية . وهكذا قامت بمدة تلك الحركة المسرحية — كما يصفها بعض الكتاب — التي قادها مغامر من مولداڤيا ثورة قومية حقيقية في المورة وجزر بحر ايجة «٢١» وقد اثبتت هذه الثورة جديتها وصلابتها كما انها استثارت في الاوربيين خيالات

(19) I bid : PP. 65-69

New Cambridge Modern History pp. 246-247 .

(20) Carlton g. H. Hayes : A political and local History of Modern Europe
Vol TT p. 47

W. Miller : op. cit .PP. 65-68 .

M.D. Stajanovie · The Great Power and the Balkans . P.2.

Sir Ilbwe.lyn Woodward : The Age of Reform pp. 213-4

واسعة وتلقت من شعوب اوربا وشعرائها وعلى رأسهم لورد بيرون Byron الانكليزي وفيكتور هيجو الفرنسي كل عطف وكل تأييد «٢٢» وردت تركيا على تلك الحركة بإبادة الآلاف من رجال الجالية اليونانية في استنبول وتلت ذلك بإعدام بطيريك القسطنطينية وارومة اساقفة ولم يكن لذلك من اثر سوى زيادة لبيب الثورة اليونانية اشتعالا وانتشاراً في بلاد المورة بعد جزر الارخبيل وكريت «٢٣» وقد اكّد اليونان عزمهم على نوال الاستقلال بإبادة الحاميات العثمانية المنبثة في انحاء بلادهم واتخذوا لهم شعاراً « لا بناء لتركى في بلاد المورة» ومن ثم اوقعوا القتل بعشرين الفا من الترك المقيمين في انحاء البلاد، ولم ينج من بقي من الترك الا عن طريق الاحتماء بالحاميات في الحصون التركية . ولكن تلك الحاميات حوصرت واضطر معظمها إلى التسليم ان صلحاً او عنوة . وقرب تريبولتزا امكن لجيش يوناني قوامه ثلاثة آلاف ايتاع الهزيمة بآخر تركى قوامه خمسة آلاف . وترتب على ذلك حتمياً تسليم هذا الموقع بل وتسليم ميناء نافارينو ايضا وفي كلا الموقعين لم يتورع ثوار اليونان عن خرق كل عهد فقتلوا نحواً من ثمانية آلاف بين تركى ويهودى في تريبولتزا . وفي خلال ثلاثة اشهر سقطت كل المدن جنوب الخليج في يد الثوار باستثناء بعض القلاع والحصون واعلن في ١٣/١/١٨٢٢ عن اول محاولة لتكوين حكومة مركزية لكل بلاد الاغريق وقد قامت حكومة السلطنة العثمانية انتصارات الثوار واعمالهم الطائشة باعمال اكثر طيشاً كما ذكرنا واسلفنا واصبح المعروف انه قتل يوناني واحد على الاقل مقابل كل تركى اوقع به الثوار . ولكن الحركة الثورية لم تتوقف بل امتدت حتى بلغت الجزائر اليونانية . ورجالها اهل صيد وبحر فسلموا سفنهم واخذوا ينهبون السفن التركية ويتمتلون رجالها ويتممون بأعمال القرصنة يوجه عام حتى دب الهلع في قلوب البحارة الترك «٢٤»

(٢٢) من اقوال بيرون الشهيرة
« I have simplified my politics into a detestation of all existing governments »

واعلن شارل ويرون عبارتهم التي صارت مثلاً
«We are all Greeks »
David Thomson : Europe since Napoleon .PP. 120-123

Ketelley D.M. : A Short His. of Modern Europe .pp. 112-13 .

The New Cambridge Modern History .p. 547

(23)Grant & Jemperley : Europe in the 19 th 20 th

Century .PP. 156-161.

H.A.L. Fisher : A History of Europe PP 733-734

(٢٤) شفيق غريبال محمد علي الكبير ص ١٣٢ — ١٣٣

Dodwell H : The Tounder of Modern Egypt pp 68-71

W. Miller : op. Cit. PP. 71-75, 77

The New Cambridge Modern History . Vol TX p. 547.

حقاً كان في امكان السلطان انه يأخذ نفساً مقابل كل تركي يتنل في بلاد اليونان وفي جزرها ولكن لم يكن في استطاعته انه يسترد ولايته التي سلبت منه بتلك السهولة «٢٥».

اما محمد علي فقد قابل انباء تلك الاضطرابات باتخاذ خطة تدل على بعد نظره مما رفع شأنه امام دول العالم . ورغم انه احيط علماً بنشاط الجمعيات اليونانية الثورية في القاهرة والاسكندرية الا انه لم يتعرض لهم بسوء ولم يحاول منع من شاء منهم من الابحار بل انه اطلق سراح بعض اليونانيين الاسرى الذين ارسلهم اليه داي الجزائر «٢٦»

وفي عام ١٨٢٢ عرض السلطان على محمد علي حكم جزيرة كريت او ولاية كريت واخضاع ثورتها فارسل محمد علي حسن باشا زوج ابنته لاختضاعها .

ولما توفي أرسل حسين بك وكان ثوار كريت غلاظ الرقاب ولكنه استطاع اخضاعهم باللين تارة وبالشدة والعنف اخرى . وفي عام ١٨٢٤ استطاع محمد علي ان يملن سقوط معقل الثوار في سفاكيا Sphakia في يده . وليس ادل على نجاح محمد علي وصلاحيه جيوشه التي اعددها من ان حسين بك استطاع اخضاع جزيرتي كاسوس Kasos وسكاربنتو Scarpanto المنيعتين وقد سقطت الاولى بعد قتال عنيف واويحت للجنود المنتصرة لمدة ٢٤ ساعة فوقعوا بها نهباً واعتداء «٢٧» اما سكاربنتو سلمت صلحاً على اساس دفع جزية الثلاث سنوات المتأخرة عليها للباب العالي . وهنا نستطيع ان نفهم خطة محمد علي . فالثوار يجب كبح جماحهم وانزال العقاب الصارم بهم . واما من يجنحون إلى السلم فتعطى لهم شروط مناسبة . وهكذا نرى محمد علي يستخدم اللين ما امكن والشدة اذا اضطرت الظروف لذلك حتى يستطيع تحقيق اغراضه وتأكيد ماله من قوة او امكانيات .

وهكذا ادى نجاح محمد علي في اخضاع ثورة كريت وبعض الجزر اليونانية الصغيرة الى تنبه سلطان تركيا إلى مالدی هذا الوالي ولدى مصر من امكانيات يستطيع استغلالها او

(٢٥) من المعروف أنه قتل البطريق وبعض الأساقفة يوم عيد القيامة وبعد تعليق جثة البطريق وهو يوناني الأصل ثلاثة أيام أمام منزله سمح لليهود بسحلها وقذفها في البحر

Sir Ilewellyn Woodward : op. cit . p. 215 .

W. Miller : op. cit . pp. 74-75 .

(26) Lauvergne H : Lauenirs de la Grece en 1825. pp.67-68

(27) W. Miller : op. cit : p. 89.

استهلاكها في سبيل الحصول على ما يهدف اليه من القضاء على الثورات التي ظهرت في انحاء امبراطوريته «٢٨» .

والان علينا ان نتبع اية ايجابية محمد علي وموقفه مما قد يمهّد اليه من مهام جديدة . ومن الحق ان نقول ان محمد علي كان يهدف إلى الكشف عن امكانيات مصر خاصة والشرق عامة وبذلك يأتى له زيادة قوته وقدرته . ومن هنا كان سعيه الدائب لتحويل مصر والشرق قاطبة الى حقل عظيم الانتاج ومن اجل هذا حاول تخليص مصر والشرق من ذلك الجمود الذي طبعهما به الحكم العثماني والذي اضر بهما . وفي سبيل تحقيق هذه الفكرة عمل على البحث والتنقيب عن نواحي الغنى والثروة او الثروات المختبئة .

وهكذا نرى هذان الرجلان محمد علي وابنه ابراهيم على استعداد للعمل في اى ميدان جدياً يسترضان فيه قوتهم وينوزان فيه بما يطمعان ولعله النهوض بمصر وبثوة فيها مع تأكيد بآرائهما فيها . ولا مانع من ان يكون ذلك الميدان الجدياً في افريقيا ... او آسيا او اوربا ... او حتى في داخل الامبراطورية العثمانية «٢٩»

وفي تلك الاونة ولتلك الظروف رأى السلطان محمود الثاني (٣٠) أن

(28) Dodwell H. : The founder of Modern Egypt pp. 68 -71

(29)Ibid : P. 29

(٢٩) شفيق غربال : محمد علي الكبير ص ٣ - ١٦٤

(٣٠) عاصر محمد علي من سلاطين الأتراك سليم الثالث ١٧٨٩ - ١٨٠٧

ومصطفى الرابع من ١٨٠٧ - ١٨٠٨ ، ومحمود الثاني ١٨٠٨ - ١٨٣٩ ، وعبد المجيد ١٨٣٩ - ١٨٦١ ومحمود الثاني هو ابن لمحتظية فرنسية جيء بها إلى القسطنطينية بواسطة القراصنة البربر . وقد وصل إلى السلطنة في عام ١٨٠٨ عقب انقلاب ثم في داخل القصر وكان له من العمر إذ ذاك ٢٣ عاماً . استمر يعمل ٣٠ عاماً محاولاً تحقيق الاصلاح الذي بدأه سليم الثالث . ولم يكن الاصلاح أمراً مقبولاً في ذلك أو من الامور التي يمكن الامور التي يمكن أن تتم في هدوء وسلام وخاصة أنه كان موجهاً ضد الانكشارية وعندما ثار الانكشارية بطبب اعتراضهم على اصلاح الجيش قدم لهم محمود الثاني وزيره الذي كان يشرف على تنفيذ سياسته الاصلاحية ضحية بادرة وذلك كسبب للوقت . وقد حارب محمود الثاني الاقطاع في آسيا الصغرى وإعاد السيطرة العثمانية لبلاد العراق . وانهز الفرصة خلال قمة اندلاع الثورة اليونانية فدبر المذبحة التي أدت إلى القضاء نهائياً على الانكشارية الذين عرقلوا كل محاولة لاصلاح الجيش التركي عن طريق التمرد والعصيان . وهكذا تخلّصت تركيا من الانكشارية في عام ١٨٢٦ بفضل اندفاعات محمود الثاني الذي لم يكن من نوع الرجال الذين ترهبهم حركات =

محمد علي بالتمضاء على ثورة المورة . وليس من المعقول أن محمد علي قبل تلك المهمة خشية غضب السلطان فقط ولكن كان هناك « النظام الجديد » الذي وضعه للجيش والذي أتى بثمار يافعة في كريت فمن الممكن الآن استخدام هذا النظام الجديد على نطاق اوسع لاختيار مدى قدرته على الصمود في قتال شعوب جديدة ولكي يثبت للباب العالي مدى تفوقه الحربي . وفي ذات الوقت يحصل على باشوية المورة ويعمل على الاستفادة من نشاط اليونانيين ومقدرتهم لصالح مصر ويسيطر على ذلك القسم الجنوبي من اوربا وبالتالي يسيطر باسم مصر على جانب كبير من البحر المتوسط وما به من حركة تجارية . (١)

هذه اذن هي وجهة نظر محمد علي على حقيقتها وهي تبدو لنا من ثنايا احاديث كبار رجاله ومستشاريه ومن ذلك ان لوفرن H. Lauvergne ذكر انه عندما التقى بالكولونيل سيف - احد مستشاري محمد علي العسكريين وأخذ قادة الجيش المصري في حرب المورة - في شبه جزيرة المورة في اواخر عام ١٨٢٥ وسأله عن اهداف محمد علي وحقيقة ما يطمح اليه اجابه الكولونيل سيف على ذلك بقوله « أن محمد علي قد اتخذ موقفا جليلا منذ بدأت الثورة الهلينية تتخذ طابعا جديا قويا... وان المناداة بإبراهيم كحاكم للمورة لم تكن في يوم من الايام من عمل الديوان بل أن محمد علي كان يرى فيها الشكل الاساس الذي يجب أن يوضع لكي يستطيع القيام بالمساعدة المطلوبة منه ، ولو أن المورة اصبحت خاضعة له فليس هناك اذى شك في أن حكمه لها لن يكون قائما على استعباد الشعب أو الاستبداد به ... ونحن هنا نعامل اليونانيين وفق ما يرضى محمد علي . ونحن لانستطيع أن نخفي عنك ما نعتقد من أن مستوى الثقافة والذكاء لدى اليونان لا يزيد عن مستوى الذكاء والثقافة لدى الانترك . ورغمنا عن وجود الاختلافات الدينية فيجب ألا يغرب عن الازهان أن ملك فرنسا يحكم شعبا مختلطا من الكاثوليك والبروتستنت ، وان مصر لانستطيع أن تتجاهل مقدرة البحارة اليونان فمصر دولة زراعية يرجع تخلفها إلى انها كانت تتبع للوكلاء

= التمرد . وعندما هزم في معركة نافارينو اكتوبر ١٨٢٧ سنة اعلنها حرباً مقدسة ضد الكفرة : وهذا أدى إلى الحرب الروسية التركية ١٨٢٨ / ١٨٢٩ التي انتهت بصلح ادرنه بعد هزيمة الترك .
يم دخل في صراع طويل مع محمد علي حتى نهاية حكمه .

M. D. Stajanovie : op. cit. pp.1-2 .

Sir L. Woodward : op. cit, p. 215 .

Encyclopaedia Britannica (1973) Vol 14. pp. 634-35.

« ١) كريم ثابت : محمد علي ص ١٢٠ - ٢١

والعملاء الاوروبيين منتجاتها التي لا تستطيع تصنيعها ... واما الآن فان مصر الناهضة تحتوي على عدد كبير من المصانع والصناعات القطنية والتيلية وتستطيع المراكب اليونانية نقل متاجرها إلى جميع انحاء العالم . ومحمد علي باشا يتندر مهارة البحارة اليونان حق التقدير لدرجة اني على ثقة من انه مستعد لأن يرفع معهم هدنة وان يسمح لمن يرغب منهم بالرحيل او الهجرة إلى مصر مع عائلاتهم للإقامة فيها . ولكن تنفيذ هذه الرغبات تحتاج إلى الوقت والظروف الملائمة التي ستحسن استخدامها واستغلالها . (٣١)

هذه اذن هي النوايا والاهداف الحقيقية لمحمد علي ، وهذا هو عين ما اتخذه البعض من ملوك مصر الاقدمين عندما شجعوا الكثير من اليونان على الإقامة في مصر حتى يكونوا عاملا من عوامل الحركة التجارية والنقل في البحر مما سيجني ثماره مصر . وتبعاً لما تمتاز به مصر من قدرة على امتصاص كل جديد لم يكن هناك ولن يكون اي خطر يهدد كتلة الشعب المصري من جراء تطعيمه بفريتين من اليونان المهرة في شؤون التجارة وشؤون البحر . فاذا لم يكن غرض محمد علي في يرم من الايام أن يبيد اليونانيين المسيحيين من المورة وان يحل محلهم شعوباً اسلامية ليكون اماراة اسلامية هناك ... وما كان من الممكن أن يخاطر محمد علي بصفوة جبوشه لتحقيق غرض كهذا يصعب التكهن بمدى فوزه فيه وحتى اذا تم تحقيقه قد لا يود عليه بنفع ما .

ومما يدل على أن محمد علي في تدخله في مشكلة اليونان كان ينظر الى صالح مصر انه عندما طلب الباب العالي منه في سنة ١٨٢٣ أن يرسل حملة بقيادة ابراهيم باشا ضد الفرس الذين تعددت هجماتهم على تركيا من الخلف نجد محمد علي يرفض بكل حزم القيام بتلك المهمة التي لاتتفق مع اغراضه ومصالحه وآماله . (٣٢)

ولعل ما كان في فكر محمد علي هو أن يجاري شعور عصره ذلك الشعور الذي كان يرى في اخضاع الثائرين ومد اخضاع الكافرين ما يرفع اسم الفاتح المنتصر عالياً بين الشعوب الاسلامية . ويذكر « Dodwell » أن اخضاع محمد علي لشبه جزيرة المورة يجعل منه

(31) M. Sabry : L'Empire Egyptien Lous Mohamed Ali pp. 89-92.

H. Lauvergne: Lauenirs de la Grece en 1825 .pp.67-68 .

(32) M. Sabry : L 'Empire Egyptien Lous Mohamed Ali et la Question d. orient . 1811-1849 pp. 89-92

Durand -Viel P.243-244

يطل العصر ويسمح له اذا شاء بالاعتراض على أوامر الباب العالي وايضا كما ظن محمد علي
سيمنحه احترام احدى القوى الاوروبية الكبرى (انجلترا) وربما امكانية التحالف معها . (٣٣)
ولكن هل كان محمد علي مستعدا لقبول الاشتراك في حرب كهذه قد يترتب عليها مشاكل
معقدة دون قيد ولا شرط ؟ ... كلا ! ... بل أنه يسعى ليكفل لنفسه وسائل النجاح ...

Vice - Amiral Durand - Viel	ويسف لنا الكاتب
Les Campagnes Navales De	في كتابه
Mohamed Aly et D'Ibrahim.	وتحت عنوان
Les Negociations entre Mohamed	
Aly et la Porte en Mars 1824	

مبلغ حفاوة محمد علي بمندوب تركيا عند قدومه مصر لا يبالغه نص فرمان الذي
يخوله ولاية المورة واخضاع ثورتها . وكان من المظنون أو المفهوم أن محمد علي التامع الأمين
المخلص للسلطان لن يتأخر لحظة واحدة عن تقديم جميع قواته بل وشخصه ايضا فداء
أوامر السلطان وأنه لم يكن يطلب سوى أن يسمح له بمنازلة اعداء السلطان « فيقضي عليهم
في ثمانية ايام » ولكن هل كان محمد علي مستعدا حقاً للبذل والى أي حد . ؟ هذا ما لم يكن
لأحد علم به على وجه التحقيق (٣٤) .

كان هذا فرمان بمثابة توسيع لنطاق الدولة المصرية وبسط نفوذها فيما وراء البحار
وبالتالي يرفع من شأن محمد علي باشا ويؤكد من مكانته ، فاستنجد تركيا بجيشه كلما قصرت
يدها وعجزت عن مقاومة الثورات سواء في الحجاز او في كريت أو في اليونان مما يزيده
فخرا ويوطد مركز الدولة المصرية التي اسسها ، فضلا عن انه لم يكن هناك ود في الواقع
من تلبية دعوة تركيا ، فاذا رفض ماعرضه عليه السلطان من التكريم والتكليف فان
رفضه يكون حجة عليه في يد الساعين لخلعه عن ولايته واطهاره بمظهر الخارج على ارادة
السلطان ، وهو لم يكن بد قد توصل الى تقرير مركز مصر السياسي حيال تركيا فلم يكن
أكثر من وال عينه السلطان وللسلطان رسميا أن يمزله (٣٥) .

وقد وازن محمد علي بين هذه الاعتبارات واستشار اعضاء أسرته وكبار رجال حكومته

(33) Dodwell op. cit : p. 72

(34) Durand- Viel: Les Campagnes Navales p. 245.

(٣٥) عبدالرحمن الراجحي بك : عصر محمد علي الكبير ٢٠٢

كبوغوص بك الذي هنا بهذا الشرف العظيم حين جمع ديوان القاهرة واعلنه بمضمون
هذا فرمان فصاح برغوص بك :

«ما اعظم أن تضع اليد العليا جميع تيجان الارض امامكم .. انكم برنا برت أفريتيا» (٣٦).
وقد حاول المندوب السلطاني أن يفهم محمد علي أن المسألة لن تتعد قيام ابراهيم باشا
على رأس قوة مصرية بترهه بحرية الى حيث ولايته الجديدة ولكن هل كان يمكن
أن تجوز على محمد علي مثل هذه الخدعة فاقليم المورة اقليم نائر فائر لن يمكن اخضاعه الا
ببذل جهود جبارة وتضحيات كبيرة ولذلك فقد كان من حق محمد علي أن يأمل في نيل
مكافآت معينة في نظير تلك الجهود التي سيقوم بها في اخضاع تلك الثورة ومثال ذلك
في نظره أن يمنح باشويه دمشق أو عكا ولكن رغم أهمية سوريا بالنسبة لمحمد علي ..
فقد كانت تضم أصدقاء مخلصين لمحمد علي ... عبدالله في جبل الدروز ... بشير في جبل
لبنان ... الا أن نجيب أفندي مندوب السلطان لم يشر اليها ولم يحاول أن يعد محمد علي
بباشويتها .

ولقد بدا في شهر مارس من نفس السنة في القسطنطينية أن محاولة التمويه على محمد
علي بالمبالغة من شأن باشوية المورة لم تجز عليه وأنه قد يمتنع عن القيام بأمرها ، نظرا لتقديره
بحسب بمد نظره للصعوبات التي تنتظره فيها . وفي ذات الوقت كان ابراهيم غير راغب
في ترك مصر .. وهو لا يتبل بأي حال من الاحوال الابتعاد عنها نهائيا ولا تستطيع ولاية
كالورة أن تلهيه عن مصر حيث النظام المستتب والثروة الاقتصادية الثابتة والمستقبل الباسم .
إن القرار الذي حمله نجيب أفندي الى مصر يتضى فقط بأن يكون لابراهيم السلطة اللازمة
لاخضاع المورة وايضا جزيرتا Spezzia ، Hydra اما في بلاد اليونان
فلم يمهّد اليه الا بحق مباشرة التعبئة العامة للجنود والموارد لسد حاجة جيش يتأطل في منطقة
«Prevs» هذا هو ما فهمه محمد علي من الاتجاهات والنوايا العثمانية ... فبلغ منه الحق
وعدم الرضا مبلغا كبيرا . وكان يبدو لمحمد علي ان الشرط الاول لدعوته للاشتراك
مع السلطان في قتال اعدائه يجب أن يكون امداده بكل وسائل القتال وبكل السلطات اللازمة
حتى يستطيع القيام بالعمليات الحربية اللازمة . فاعطاء القبطان باشا التركي القيادة العليا
البحرية والبرية في بلاد اليونان كان يجب أن يكون من حقه هو ولكن خسرو باشا وجماعته
كانوا على غير استعداد للتنازل عن تلك السلطة ... فالاميرال التركي يريد الاحتفاظ بالقيادة

العلياء للأسطول وعلى الأسطول المصري اذن أن يظل تابداً لذلك التركي كما كان الحال في الماضي رغم الزيادات التي ادخلت عليه ورغم الانتصارات التي حازها ... وما كانت القاب الشريفة التي منحتها الحكومة العثمانية لمحمد علي وابنه لتستطيع أن تخفف من وقع تلك الحقيقة التي اكتشفها ... الا وهي أن الزعامة او القيادة العليا لم تكن مكفولة لهما في هذا الميدان الجديد كما كانت مكفولة في مصر ... وبلاد العرب ... وجزيرة كريت . (٣٧)

وقد بدأ كأن الخلاف سيدب بين محمد علي والباب العالي قبل قيام الحملة وقد كتب محمد علي في ١٩ ابريل ١٨٢٤ الى قاضي الجيش صديق افندي يقول : « إن هناك مثلاً يقول إن التودد المتفرع لا يدخل الارض ... فانا لم اطلب سوى ولاية جده فاذا بهم يطلبون تعيين ابني ابراهيم في نفس الوقت واليا على المورة ، وقبطان باشا الى نهاية الحرب ، ومعنى هذا انه اذا ما انتهت الحرب وارتدت الاساطيل الامبراطورية والتجارية الى مراكزها السابطة ... انسحب ابراهيم ليحل في مركزه اميرال آخر ! وقد توانيت في الاجابة على الباب العالي وذهبت الى الاسكندرية وهناك جاءني خطاب رسمي يتضي بتولية ابني ابراهيم واليا على المورة وقائداً للأسطول المصري . . لقد عهد اليه بحكم شبه جزيرة المورة وجزيرتي هيدراوسبازيا . . ولكن لم ترد أي اشارة عن تعيينه قائداً اعلى على جميع القوات المحاربة دون أن يكون له شريك عثماني ... فاسقاط هذا الأمر الاخير يثبط همتي ولا يشجعني لدرجة اني اشعر بأنه يجب علي أن أضع حداً لحماسي الشديد للقيام بهذا العمل . وانا لم اطلب هذا الطلب طموحاً في هذا المنصب .. ولكن لكي اضمن وحدة القيادة ولكي لا اتعرض لاحتمال عدم اطاعة رجال الحملة الاثراك لنا فيتعقد موقفنا ويضطرب امام الثائرين . . وفي النهاية قر الرأي على ان يظل ابراهيم باشا تابداً للقبطان باشا التركي على انه يكون له القيادة الكاملة للأسطول المصري الذي يكون وحدة مستقلة والذي اضيف اليه بنص قطع من الاسطول العثماني وهكذا تم الاتفاق على هذا الوضع الذي يرضى اعتداد الامبراطورية العثمانية وقبل محمد علي في ١٠ يونيو عام ١٨٢٤ ان يدرج اسم ابنه ابراهيم باشا كحاكم للمورة (٣٨) .

وفي ١٠ يرايو ابهرت تلك الحملة من الاسكندرية وكانت تتكون من ١٦ الف جندي ،

(٣٧) شفيق غريال : محمد علي ص ١٣٤

(38) Durand - Viel : Les Campagnes Navales De Mohamed Aly et D'Ibrahim Vol 1 p. p. 245- 8

١٠٠ ناقلة ، ٦٣ مركب مسلح وذلك وفقاً لما ذكره دودويل في كتابه ، واعطيت القيادة كما ذكرنا لابراهيم باشا (٣٩) ولكنها لم تكن كاملة كما شاء والده . وذلك لان سياسة الباب العالي قد جرت على تقسيم السلطة (٤٠) ولذا فان الباب العالي منح قيادة الاسطول العليا (قبطان باشا) لخسرو باشا (٤١) وقد كان اختيار خسرو باشا بنوع خاص لقيادة

(٣٩) محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية العلية ص ٢٣٠ - ٢٣١

كريم ثابت : محمد علي ص ١٢٢

(٤٠) هناك محاولة شبيهة بهذه في تاريخ فرنسا الحديث أو تاريخ الثورة الفرنسية ، فعندما كلف نابليون من قبل حكومة الادارة بقيادة الحملة الايطالية الموجهة ضد قوات النمسا في ايطاليا وتتابعت انتصاراته المذهلة ولم يكن له من العمر أكثر من ٢٧ عاماً تخوف اعضاء حكومة الادارة من ازدياد شعبيته وازدياد طموحاته فقرروا ارسال القائد العريق « كيلرمان » ليشاركة في القيادة ناوقفهم نابليون عند حدهم بخطابه الشهير الذي جاء فيه «إذا كنتم ستضعون مختلف العقبات في طريقي ... فلا تنتظروا مني بعد الآن خيراً . لكل اسلوبه الخاص في ادارة الحرب . والجنرال كيلرمان أكثر مني خبرة .. لكننا إذا عملنا معاً فلن يكون عملنا إلا رديئاً .. فالجنرال الرديء خير من جنرالين طيبين » .

اميل لودفيج : نابليون - تعريب محمود ابراهيم الدسوقي ح ١ ص ٦٥ - ٦٧
(٤١) خسرو باشا هو أول ولاية مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها واصله من ماليك القبطان باشا وكان هذا هو اول عهده بالمناصب الادارية الهامة وصفه المؤرخ المصري شفيق غربال بانه « لم يفهم بعد فن التنظيم العسكري اكثر من جمع «انفار» من اخلاط الناس ووضع ابدانهم في ثياب مقمطة تشبه بالجنش الفرنسي ، ولم يفهم من فن الادارة الا قطع الرؤوس » وقد فشل خسرو في اعادة تنظيم شؤون الادارة المالية بمصر ، كما لم يستطع اخضاع امراء المماليك بعد ان سيطروا على الصعيد وعذره في ذلك ان ماله من قوات عثمانية لاتملك فرسانا ومن هنا تغلب المماليك في الصعيد وتقدموا في انحاء الوجه البحري وادى هذا إلى نقصان موارد خسرو المالية وإلى اختلال تموين القاهرة فاختل بالتالي دفع مرتبات الجند فهاجوا كما جرت عادتهم في مثل تلك الظروف وانزلوا خسرو عن كرسيه ولكنه هرب إلى دمياط مترقباً فرصة للرجوع الامر الذي لم يتحقق بتاتا . فعندما اصبح محمد علي صاحب الكلمة في القاهرة قام بحركة مسرحية هدفها اظهار اخلاصه للسلطان فدعا خسرو باشا الى منصب الولاية وبطبيعة الحال لم يرض به الجند وهددوا بقتله فأثر ذلك الانسحاب نهائياً . وكرر محمد علي حركته المسرحية في شخص خورشيد باشا حاكم الاسكندرية وبرغم ان السلطان اعتمد ولايته على مصر الا ان الجند هاجوا ضده لتصرفاته السيئة فحوصروا القلعة ونودي بعد ذلك بمحمد علي واليا على مصر في مايو (١٨٠٥) ووصل فرمان السلطان بالموافقة على ذلك وكان في ذلك ماقطع احلام خسرو وآماله في استعادة ولاية مصر كما اعتبر محمد علي مسؤولاً بما دبره من دسائس ومكائد عن التحريض ضده والاطاحة به . وعلى كل فعندما عاد إلى تركيا ابتسم له الحظ مرة اخرى وارتقى في مناصب =

الاسطول لا يرضى محمد علي بأي حال من الاحوال فكلاهما يظن العداء للآخر منذ طرد خسرو باشا من باشوية مصر. وهكذا وان كان السلطان قد ضمن بهذا الاختيار استحالة اتحاد القائد البري مع القائد البحري للتأمر على سلطنته وسلطاته العليا فانه كان ايضا يستطيع انه يضمن بفضل هذا الاسلوب انهما لن يستطيعا باي حال من الاحوال الفوز بنصر مشترك .

وعلى كل فقد اتفق بان تجتمع الاساطيل التركية والمصرية في جزيرة رودس على ان تتحرك هذه الاساطيل في اتجاه الجزر اليونانية الصغيرة التي تعتبر مركزاً هاماً للثوار اليونان وللثورة اليونانية والتي تهدد بهجمات الخاطفة سلامة المراكب التجارية والحربية العثمانية فضلاً عن سلامة المدن التركية الساحلية . واتفق مبدئياً بعد الانتهاء من اخضاع الجزر على الاتجاه نحو المركز الاكبر للثورة الهيلينية ألا وهو شبه جزيرة المورة . وهذه الخطة كانت من اعداد محمد علي وهي توضح مدى ادراكه لما للجزر اليونانية من اهمية استراتيجية في السيطرة على البحر وفي السيطرة على اي عملية. اكبر يمكن اجراؤها في صميم بلاد البلوينيز او بلاد المورة .

وقد بدأ خسرو بصفته «القبطان باشا التركي» قيادته بداية طيبة ففي الثالث من شهر يوليو (تموز) استولى على يسارا Psara وكانت مركزاً للقراصنة في غرب جزيرة خيوس Chios. وكان المفروض ان تكون جزيرة ساموس Samos ثاني مركز لحركات خسرو باشا الحربية ولكنه اضاع شهراً في اقامة حفلات لانتصاره الباهر في نظره امام يسارا Psara . ولعله قصد بهذه المماطلة بالاضافة الى التضخيم من انتصاره توفير قواته واسطوله وترك الجانب الاكبر من عبء اخضاع القراصنة والجزر اليونانية الثائرة وما يتخلله من مخاطر وخسائر لاسطول مصر القادم في الطريق . وسرعان ما كشفت احدى المناوشات التي حدثت بين الاسطول التركي وقائده ، وبين القراصنة اليونان وذلك في ١٦ من شهر اغسطس/ آب عن مدى ما كان يمانيه من ضعف واضطراب سواء في القيادة او الرجال . اذ ان ذلك الاسطول فقد ثلاث قطع هامة فرقاطتين ونقيرة Corvette في تلك المناوشة وولى هارباً وقد ملأ بحارته الفزع (٤٢) .

=الدولة وحاول دائما وضع العقبات امام محمد علي *

شفيق غريبال : محمد علي ص ٣٠ - ٣٥

د. عزت عبد الكريم : مجمل تاريخ مصر ص ٣٠٤ - ٣٠٥

(42) Dodwell : op .cit PP. 71- 72 .

وفي ٢٩ أغسطس ١٨٢٤ انضم اسطول ابراهيم باشا الى اسطول القبطان باشا وفي سبتمبر حدثت بضعة مناوشات ابدى فيها الاسطول التركي جبنا وضعفاً (٤٣) .

وقد جاء في خطاب من قنصل فرنسا في مصر Drovetti الى Baron de Damas وهذا الخطاب مرسل بتاريخ ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٢٤ جاء فيه « إن محمد علي يشعر ببد انهزامات القبطان باشا امام ساموس انه لم يجد صالحا لقيادة القوات العثمانية وانه يطلب احلال يرسف باشا مكانه في القيادة العليا للقوات العثمانية لانه اكثر مقدرة على ادارة دفعة العمليات الحربية (٤٤) .

وفي نهاية هذا الشهر اعيد خسرو الى القسطنطينية وترك ابراهيم منفردا وكان لزاما عليه أن يتف موقف الدفاع ولكنه في نهاية العام قرر أن يجمع سفنه ورجاله في خليج سودا Souda على الساحل الشمالي الغربي لكريت دون أن يتكبد خسارة ذات ذلك وهكذا لم يتأثر الجيش المصري بفضل قيادة ابراهيم بذلك المصاعب التي لاقته والتي لم يستطع خسرو باشا الصمود امامها وكان محمد علي في مصر آخر من يرضخ للهزيمة وقد قال « انا اعلم تمام العلم انه كما اني لاأستطيع تكوين اسطول في صحراء الاهرام فكذلك انا لاأستطيع منع الخسائر ولكن بمرور الوقت سيكون لدي اسطول قوي وعندئذ أستطيع تكبيد اليونانيين هزائم فادحة» (٤٥) .

وهكذا اشغل محمد علي في تلك الاثناء بزيادة قوة اسطوله . فوصلته اربع نقلات كان قد اوصى عليها من احواض السفن الايطالية ووصلته خمس أخرى من اليونانيين الثائرين بطريق غير مباشر وارسل مندوبا فرنسيا الى فرنسا ليحصل على تصريح ببناء ٣ سفن في احواض بناء السفن الملكية وتحت اشراف رجال فرنسيين مختصين . وقد بنى في بناء تلك السفن فعلا في مرسليليا ووضع التجار اليونانيين مجموعة أخرى من سفنهم تحت امره برغم ماكان من مذبحه خيوس Chios (٤٦) وبنيت سفن أخرى في البندقية Venice ، لجهورن Laghorn :

(43)Dodwell : p. 71- 72

(44)Edourd Driault : L' Expedition De Crete & De Moree 34- 35

(45)Douin : La mission du Baron Baislecoente P. 7 .

(٤٦) قيل ان من بين سكان جزيرة خيوس ١١٣ ألفاً ، لم يبق بالجزيرة إلا ١٨٠٠ فرد فقط إذ قتل ٢٣ ألفاً وبيع كرقيق ٤٧ ألفاً ولجأ الباقون إلى الجزر الأخرى W.Miller : op.cit. P79-80

ولعله مما هو جدير بهذا أن نشير إلى موقف الشعب المصري اثناء تلك الاحداث التي كانت تجري في ذلك الحين .

ومما لاشك فيه أن الشعب المصري دون سواه هو الذي تحمل الاعباء المالية التي استلزمها اعداد الحملات الحربية والبحرية المتتالية وما كانت بالشيء اليسير فهناك ثمن شراء الاسلحة والذخيرة ثم قيمة المصانع التي انشئت بمد ذلك لتصنيع حاجات الجيش من سلاح وملابس وادوات ثم هناك المؤن اللازمة لجنود الجيش ولخيالته ثم نفقات انشاء الاسطول البحري سواء اكان ذلك بشراء قطعه من الخارج أو بتصنيعها في دور الصناعة الجديدة (الترسانات) التي اعدت في موانئ مصر البحرية وبالإضافة إلى ذلك فان القوة المحاربة التي اشتركت في حرب كريت والاوره باغ تعدادها نحو الخمسين الفا، جند معظمها ان لم نقل كلها باستثناء الف من ابناء المماليك والشراكسة درب معظمهم على القيادة — من ابناء المصريين (٤٧) بولد تدرينهم باشراف الكولونيل سيف (٤٨) في وقت لم يتجاوز فيه التعداد الكلي لسكان

(٤٧) عندما تم تدريب الجنود المصرية سافر محمد على إلى «بنى عدى» بمحافظة اسيوط الحالية حيث كان معسكر التدريب ليتفقد الرجال ويحضر مناورة عسكرية وضع خططها سيف ونفذها ابنه ابراهيم باشا وصحب معه دروفتي قنصل فرنسا وسولت قنصل انجلترا فسروا جميعاً بما رأوا . وعقب عودتهم كتب دروفتي إلى وزير خارجية فرنسا في ٩ فبراير ١٨٢٤ «ان هذا الجيش الكامل النظام والترتيب على الطريقة الفرنسية يتألف من سودانيين وفلاحين مصريين قوادهم وضباطهم من العثمانيين والمماليك ، وقد بلغوا في دقة المناورات مرتبة تستوجب الفخار للضباط الفرنسيين الذين دربهم .»

وقد وصف ضابط فرنسي آخر هو الكابتن «بلانا» زيارة اخرى لمعسكر جهاد آباد القريب من القاهرة قام بها محمد على ايضاً في ديسمبر ١٨٢٦ لحضور استعراض ومناورات يقوم بها من تم تدريبهم ويتضح من الوصف مدى الدقة والنظام اللذين تم بهما استقبال محمد على واجريت بهما المناورات .

كريم ثابت : محمد على ص ٩٥ - ٩٩ نقلا عن كتاب

Planat (J) : Histoire de la Regeneration de L' Egypte

(٤٨) الكابتن سيف من ضباط ياوران المارشال : «فاي» اى احد قواد نابليون وقد اضحى من عام ١٨١٥ بلا عمل ولا مورد رزق ككثيرين غيره من ضباط نابليون وحفره سوء حاله إلى السفر إلى ايطاليا كندوب لمحل تجاري في فرنسا ، ولما سمع بان مصر في حاجة إلى خبرة الفرنسيين سافر إلى مصر وقدمه مدير مصانع الذخيرة والكباري والطرق في مصر وهو فرنسي أيضاً إلى محمد علي فكلفه =

مصر ثلاثة ملايين فرد . وبالإضافة إلى الاعباء التي تحملها المصريون في أموالهم وفي أبنائهم فإن محمد علي رغبة منه في زيادة موارد مصر وصادراتها أحدث تغييراً جذرياً في حياة الفلاح المصري عندما فرض زراعة القطن بدلاً من زراعة الحبوب التي تمثل غذاءه اليومي الحاضر . ومع ثقل هذه الاعباء فإن المصريين تحملوها ولو بثيء من التذمر حيناً أو بثيء من التسليم والرضا أحياناً وخاصة لما تمتعوا به من أمن وسلام بفضل حكم محمد علي الحازم . ولكن الأمر الذي لم يتحملة هذا الشعب هو أخطاء بعض الحكام المحليين واستبدادهم وكانوا من بقرى الممالك والشراكسة ، وكثرت أخطاؤهم في أقاليم الصعيد النائية . ولذا لا نعجب إذا استجاب جانب من هذا الشعب في الصعيد الأقصى لداعية مغربي زعم في ابريل ١٨٢٤ انه مرسل من الله ورسوله ليضع حداً لأعمال محمد علي وليعاقبه على اصلاحاته المناقضة للسنة والشرية فثاروا في اسنا وقتنا ولكنهم اخضعوا سريراً .

وقد أدرك محمد علي ان سبب الثورة الاساس هو مظالم حكام الاقاليم ولذا سارع إلى تعديل كثير من المديرين وقسم القطر بعد ذلك إلى سبع مديريات واعد لها مجالس احوال اليها جزءاً كبيراً من السلطة التي كانت مركزة في رجال القاهرة . ووضع تنظيمًا جديدًا كلف بمقتضاه بعض المسؤولين بالطواف بالاقاليم لمراقبة تصرفات حكامها وموافاته بشكوى سكانها (٤٩) .

والآن حدث ان أصرب البحارة اليونانيين عن القيام بمسملهم في مراقبة حركات الاسطول المصري لتأخر دفع رواتبهم فانتهم ابراهيم باشا الفرصة لكي يبحر من سودا Suda إلى مودون في جنوب غرب شبه جزيرة الموره في يناير سنة ١٨٢٥ حيث أنزل جيوشه في ٢٤ فبراير ١٨٢٥ واستطاع أن يهزم اليونانيين بسهولة أمام نافارينو واستسلم ذلك المكان في ١٨ مايو وفي الشهر التالي استطاع أن يحتل Tripolitza في وسط الجزيرة ولما أوى اليونانيين الثوار نوعاً من

= هذا أولاً بالبحث عن منجم فحم في الصعيد ثم عهد اليه بتنفيذ النظام الجديد أي تدريب أبناء الممالك وأبناء المصريين على الفنون العسكرية الحديثة ومنحه رتبة الباشوية وكان قد أسلم واتخذ لنفسه لقب سليمان وأصبح يعرف باسم سليمان باشا الفرنساوي وفي بداية تدريب أبناء المصريين على العسكرية تدمر المصريون ونزع بعضهم إلى الهياج في بعض الجهات بل جرت منهم عدة محاولات لقتل الكولونيل (كأطلق عليه) سيف ولكنهم ارتضوا الحال بفضل ما اكتشفوه من حسن المعاملة والاهتمام بمأكلهم وملبسهم فاقبلوا على الجندية متطوعين وفي نهاية سنة ١٨٢٣ أتم سيف تدريب ٢٤ ألفاً كجنود نظاميين ترايدوا عدداً بعد ذلك .

كريم ثابت : محمد علي ص ٩١ - ٩٥

Guemard G. : Les Reformes en Egypte D. 115.

(٤٩) كريم ثابت : محمد علي ص ١٤١ - ١٤٢

المقاومة أحرق الجيش المصري محاصيلهم واستولى على مواشيهم (٥٠) ويبدو أن الثوار اليونانيين لم يفتنوا إلى إمكانية استخدام تفوقهم البحري عملياً ضد مصر مباشرة وذلك باستثناء حادث واحد ... ففي ١٠ أغسطس حاولت إحدى السفن اليونانية إشعال النار في السفن المصرية الرابضة في ميناء الاسكندرية ولكن لحسن الحظ فشلت محاولتهم . واتفق إذ ذاك ان كان محمد علي جالساً في قصر رأس التين يتأمل الميناء فلما رأى ماحدث قفز مسرعاً وأصدر أوامره محاولاً اقتناص تلك السفينة، ولما لم يتأت له ذلك أصدر أوامره إلى عدة سفن مصرية بمطاردة القراصنة اليونانيين . وفي ١٢ أغسطس وردت أنباء تفيد ان اليونانيين احرقوا مركباً تحمل أخشاباً واردة لمصر من الليريا وكان هذا فوق مايمتثل محمد علي . فما كان منه الا أن اعتلى ظهر أول سفينة وجدها وخرج لمدة اسبوع جاثباً مياه البحر الايض بحثاً عن سفنه ومطارداً للسفن اليونانية (٥١) .

وما كان محمد علي يتبعد قليلاً عن الاسكندرية حتى حدثت مفاجأة تكشف عن أطماع الترك . ذلك أنه في اليوم التالي لرحيله وصل إلى الاسكندرية اسطول تركي كبير يحمل على ظهره خسرو باشا ويطلب دخول الميناء ومقاومة محمد علي . هذا الاسطول ترك ما كان لزاماً عليه أن يتوهم به من مهاجمة ميسلونجي بحراً بينما يهاجمها إياهم برأ وجاء إلى مصر يطلب المدد والمال . وقد أدى وصول هذا الاسطول التركي إلى رواج اشاعات كثيرة كما يقول المؤرخ Douin مؤداها ان هذا الاسطول ينبغي عزل محمد علي عن ولاية مصر . ومهما كانت أغراض خسرو ونياته الباطنة فانه بمجرد وصول محمد علي في ليلة ٢٠ أغسطس نجدهما يتبادلان التحيات والاماني الطيبة وطلب خسرو باشا بأسم الباب العالي من محمد علي أن يقدم ما يحتاج اليه اسطوله من اموال ومؤن . وقد اخذ كل منهما يرحب بالآخر ويعمل من تقديمه عليه فاذا جلسا طلب محمد علي من خسرو باشا ان يجلس قبله وطلب خسرو باشا من محمد علي ذات الطلب وقد امر محمد علي باشا بأمداد اسطول خسرو بجميع احتياجاته وتسلم خسرو باشا . ٨٠ ألف ريال لكي يدفع اجور رجاله . وعندما رحل خسرو باشا في اكتوبر إلى بلاد اليونان افرق الاثنان وكأنما هما اصدقاء اخوين وقد ذهبت مع خسرو باشا سفن محمد علي الجديدة ،

(50)W. Miller : p.89-90

Dodwell : P. 73-74 ; Hayes : Vol II P. 49

(51)Dodwell : P. 73-74

Douin G : La Mission du Baron Boislecomte R 61 .

١٥٠٠ فارس ، ٨ الاف جندي على ان يتعاون هذا الاسطول مع جيش ابراهيم باشا في حصار Missolonghi وهكذا وبفضل مساعدة ابراهيم باشا استطاع هذا الاسطول تحطيم مقاومة هذه المدينة «٥٢» .

وتلى ذلك احتلال اثينا وهكذا اصبح باديا للعيان ان الثوار اليونانيين وان كانوا اقلحوا في مقاومة الترك الا انهم هزموا شر الهزائم امام ابراهيم باشا وجيشه .
والان شعر محمد علي بعد انتصاراته في بلاد العرب اولاً وبلاد اليونان ثانياً بازدياد قوته فأخذ ينكر في زيادة قواته البرية النظامية إلى ١٠٠ الف جندي وذلك بمجرد انتهائه من اخضاع ثورة شبه جزيرة المورة واخذ محمد علي يحلم « على حد تعبير المؤرخ Dodwell بمد نفوذه عبر دجلة والفرات وهناك يبحث عن مناطق لتوسيع نفوذه ... ونراه يخاطب مندوباً فرنسياً بقوله ان السيف قد كفل لي القوة واني بلا شك أكون ناكراً بلحميله لو اني لم استخدمه ثانية في سبيل خدمة وانقاذ الامبراطورية العثمانية ولكن المندوب الفرنسي اجابه بقوله «ولكن هل سترك لك الانجليز فرصة ... لاتمام آمالك الواسعة» .

وقد كان واضحاً انه من المتعذر على محمد علي تنفيذ مشروعاته دون أن يسبق ذلك بالاتفاق مع بريطانيا العظمى . وكان كما يرى المؤرخ Dodwell ولعل في رأيه هذا يفسر التحيز لحكومته كان لابد من امرين لعقد معاهدة يكون لها بعض الاهمية في نظر الحكومة الانجليزية فأولاً يجب ان تقطع العلاقات السياسية مع تركيا قبل ان يصبح لمصر كيان سياسي خاص يعترف به ، وثانياً يجب ان يكون لدى محمد علي ما يساوم به ... وقد وقع محمد علي فعلاً معاهدة مع شركة الهند الشرقية ولكن اصبح من الواضح في سنة ١٨١٠ ان استخدام طريق رأس الرجاء الصالح كان أفضل من استخدام طريق السويس الذي اصبح مشكوك الفائدة للانجليز .

واذا كان من المتعذر الان على محمد علي أن يتخذ عن طريق السويس اسساً للمساومة ... فقد وقعت في يده ورقة رابحة يمكن اتخاذها اسساً للمساومة الا وهي انتصارات ابراهيم باشا في شبه جزيرة المورة التي اظهرت امام الملا قوة محمد علي .

لقد اثارت الثورة اليونانية الشعور العام في اوربا وقال الشعراء انها ولادة ثانية للحرية . ولما ظهر للاوروبيين ان هليب الحرية اليونانية سوف ينطفئ في بحر من الدم على حد تعبيرهم انتاب الاوروبيون شعور من الاستياء والرغبة في انقاذ اولئك الثائرين البائسين ... وخصوصاً

(52)Durand - Viel : P. 316-317 .

Miller W .: op .cit .PP. 92 -93 .

بعد أن وصلتهم انباء مبالغ فيها عن قسوة الترك وسوء فعلهم وانتشرت الروايات والافاصيص التي تذكر عن لسان ابراهيم باشا انه ينوي استئصال شأفة الامة اليونانية وتطهير ارضها قضا وقضياً لينزل بها عرباً أو سوداناً مسلمين ! وحتى كانج شعر بان الامر يتطلب تدخل بريانيا فنراه يكتب إلى قريبه سفير بريلمانيا في القسطنطينية قائلاً «ان بيع اليونانيين بيع الرقيق ... والاضرار بالشعوب المسيحية وتعبئة بلاد اليونان بالمهاجرين من البلاد الاسلامية ... ومحاولة ايجاد قوة بربرية puissance barbaresque هذه حقائق فريدة في نوعها ولا يمكن التغاضي عنها مما سيدعوننا إلى تغيير اسلوبنا ولهجتنا ... ان لم يكن تغيير وسائلنا في العمل».

وحقيقة مسألة الاسرى اليونانيين (٥٣) انه حدث في اثناء معارك شبه جزيرة الموره ان ارسلت عدة مجموعات من الاسرى اليونانيين يبلغ عددهم نحواً من ٣ الاف إلى مصر لبيعوا رقيقاً . ولقد اثار هذا دأبعية الحال جيلا كان ينادي برجوب ايتاف اعمال بيع الرقيق وشراءه ولكن من الصعب توجيه نقد خاص إلى محمد علي أو إلى ابنه بخصوص هذا... فقد ارسل القنصل البرياني يثير إلى أن هذه ليست اول حادثة من نوعها وان محمد علي تدخل سواء بنموذه أو باستخدام امواله في سبيل تحرير هؤلاء الاسرى ويتول عبد الرحمن الرافعي في كتاب «عصر محمد علي» ان كثيرين من اولئك الاسرى رفضوا التحرر وآثروا البقاء في خدمة كبار رجال الدولة المصرية وقد دفع المؤرخون المحدثون هذه التهم عن محمد علي وبنوا ما بذله من الجهد والمال لجمع من بيع بمصر من سبي الموره وتحريره وردة إلى ولاده واشادوا بحسن معاملته لليونان المقيمين بمصر في اصعب الاوقات .

وكيف كان الامر فان اعتقاد أوربا بأن الشعب اليوناني العريق سيباع بأجمعه بيع الرقيق لعب دوراً هاماً في دفع القوى الغربية إلى التدخل في مشكلة اليونان . وكان من العوامل المساعدة على التدخل ان بحارة اليونان كانوا في حاجة الى مال ومؤن فلم يتورعوا عن سلب السفن الفرنسية والنمساوية والانجليزية التي تقع تحت يدهم ولما كانت الامبراطورية العثمانية اضعف من ردهم ... كان لزاماً على القوة الاوربية الكبرى ان تتدخل لتضمن سلامة تجارتها ومواصلاتها .

(٥٣) في قضية ارسال الاسرى إلى مصر : يراجع كتاب جورج حداد :

تاريخ أوربا والمسألة الشرقية - المطبعة الوطنية في حلب ١٩٤٨ ص ١٤٥

Dodwell:op.cit p. 79

وايضاً

وخطابي سولت إلى وزارة الخارجية البريطانية في ١٢ / ٨ / ١٨٢٦ - انظر كريم ثابت ص ١٢٧

ولكن لم تؤد المذابح التي حدثت في شبه جزيرة المورة ولا اعمال السلب والنهب التي كان يقوم بها القرصان اليونان إلى تدخل الدول الكبرى كما ادت مطامح(٥٤) تلك الدول وسياساتها. لقد اتفقت سياسة كل من النمسا وانجلترا وقطباها السياسيان اذ ذلك مترنيخ وزير النمسا وكاسلريه(٥٥) ثم كاننج وزيرا خارجية انجلترا المتتاليان ... اتفقت سياستهما في مبادئها الجوهرية نحو المسألة اليونانية فقد اعتبر كلاهما امر هذا النضال من شؤون الدولة العثمانية الداخلية ومن ثم فممن واجب الدول العظمى تطبيقا لقرارات مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ان تمنع اية دولة تريد استخدام القوة لفض أو تسوية هذا النزاع من تحقيق اغراضها بالتدخل وخاصة اذا كان هذا التدخل من قبل الدب الروسي ولذا فان النمسا قبعت على حدود روسيا متيقظة لاطماعها وتحركاتها ، مصوبة اليها عيونا واعية وجيوشا متحفزة للقفز عليها اذا ما حاولت الاشتباك مع الامبراطورية العثمانية دفاعا عن ثوار البلقان أو تحريراً لولاياتها هناك . وكان من حق ارسنقراطية النمسا ونبلائها ان ينظروا إلى الحركة القومية لليونان باعتبارها مرضاً أو وباءً يخشى من انتشار عدواه وتفشيه في سهول الدانوب مما قد يجلب لامبراطوريتهم الانهيار والتفكك .

وكان مترنيخ يتزعم في ذلك الحين سياسة الحفاظ على الملكيات والامبراطوريات الشرعية ويعارض جميع الحركات التحررية للشعوب أو الثورات الداخلية للقوميات ادراكاً منه لهذه الحقيقة فمن المعروف ان امبراطورية النمسا حوت في داخلها العديد من القوميات التي تختلف جنسياً عن العنصر النمساوي والتي كانت تحين الفرص بدورها للانفصال عنها والاستقلال بذاتها مما سيتحقق فيما بعد (٥٦)

ولم يكن الموقف شبيها بهذا في انجلترا التي كانت تتمتع بحياة قومية ناضجة لا يشوبها الخوف من ظهور قوميات محلية داخلية فالقومية الايرلندية امكن اسكتيا والقومية الهندية لم يكن قد قدر لها ان تستيقظ من سباتها بعد. ولما كان التعليم السائد في بريطانيا اذ ذلك والذي كان يهتم بالدراسات الكلاسيكية القديمة الاغريقية والرومانية قد

(54) Dodwell : P. 74-80 .

(٥٥) توفي كاسلريه متحرراً في ١٨٢٢/٨/١٢ . cit . p. 204 L. Woodward :

(56) Grant & Jemperley : op cit pp.256—266

H.A.L. Fisher : A History of Europe PP. 879-880

L. Woodward : op.cit p. 204

د. احمد عزت عبدالكريم : مجمل تاريخ مصر ص ٣٣١ - ٣٣٩ .

اثار في البريطانيين روح الاعجاب بالحضارة الهلينية ولما كانت الحياة النيابية الحرة قد ربت فيهم الجرأة في التفكير والاستقلال في الرأي فان الروح الرياضية دفعتهم الى التعاطف مع تلك القومية الصغيرة التي كانت تكافح من اجل حريتها . وعندما مات الشاعر بيرون في ميسولونجي شهيد الحضارة الهلينية (٥٧) فان الحمية طففت على مشاعر الانجليز نحو الاغريق وامت المجتمعات والطرق ولم يحاول بريطاني ان يتمف قليلا ليتحقق من نوعية التأثيرين وكم من اولئك الرعاة والغوغاء وقراصنة البحار من يمت الى تلك الحضارة الهلينية العريقة التي لقن شبابهم الاعجاب بها في ردهات اكسفورد وكبريدج ذلك ان مجرد كلمة اغريقي أو ثورة الاغريق كان لها فعل السحر والظلم .

وبرغم ان تركيا كانت لاتزال الصديق الرسمي لبريطانيا الذي يتحمل مسؤولية تحقيق مبدأ التوازن في مواجهة الاطماع الروسية ازاء الشرق الا أن الشعب البريطاني كان على استعداد لتأييد كاننج عندما اقتنع باهمية الدفاع عن الاغريق وثورتهم واشترك مع فرنسا وروسيا في محاولة لانقاذهم من الفناء كما قيل وكما شاع . (٥٨)

ان الاعتقاد الذي سيطر على ذهن كاننج هو انه اذا تدخلت روسيا منفردة بطريق الحرب لتسوية النزاع العثماني اليوناني فمعنى ذلك انها ستبتلع اليونان في اول وجبة ثم تركيا في الوجبة التالية ولذا فان انجلترا لم تغفل لحظة واحدة ولا طرفة عين عن مراقبة الموقف عن بعد حرصا منها .

على نفوذها وعلى تجارتها في شرق البحر الابيض وتنفيذا للسياسة السابقة التي وضعها وزيرها الداهية بت الاصفر ومحورها الحفاظ على بقاء الامبراطورية العثمانية فانجلترا اذن وتشاركها إلى حد ما في هذا فرنسا تريان ان الامبراطورية العثمانية برغم ما هي عليه من ضعف لاتحمل للمصالح الاوروبية في الشرق اي تهديد وانما التهديد الاكبر لا ينشأ الا اذا حاولت روسيا التوغل في تركيا واملاكها .

(٥٧) وصل بيرون الى ميسولونجي في ١٨٢٤/١/٥ ومات طريح الفراش بعد مرض الم به في ذات المدينة وذات العام. ولعل خدمات بيرون في سبيل الحركة اليونانية كانت فكرية ماله سياسية أكثر منها عسكريه فقد ساهم في الدعاية لهذه الحركة وجمع التبرعات لها .

Ketelly : A Short History of Modern Europe P. 112 .

W. Miller : op .cit . PP. 86-87

(58) H.A.L. .Fisher : A History of Europex . PP. 879-883

Grant & Temperley : Europe in the 19th cen . PP. 256-266

ومع نشاء السياسة الانجليزية والفرنسية الا ان ظروف فرنسا الداخلية في عهد ملكية البوربون العائدة لهم زوال امبراطورية نابليون وفي عهد ملكها شارل ١٠ - ١٨٢٤ - ١٨٣٠ كانت تفرض عليها شيئاً من الجمود برغم تعاطفها نسبياً مع محمد علي .

اما سياسة روسيا (٥٩) منذ اوائل القرن ١٩ إن لم نقل منذ عهد بطرس الاكبر في القرن السابع عشر فكانت تتلخص في الزحف البطيء جنوباً صوب ساحل البحر الاسود فروسيا اذن تضع عينها دائماً على القسطنطينية كهدف نهائي واتجاهها دائماً إلى المياه الدافئة ولذلك فان مظامع روسيا شكلت الخطر الاكبر (٦٠) .

وقد ظل الهدوء والبطء يسودان السياسة الاوربية طوال بقاء الاسكندر قيصر على روسيا. ذلك انه كان قد وطن نفسه تحت تأثير آراء مترنيخ ورغبة الدول الكبرى على عدم التدخل في شكلة اليونان (٦١) وكان محمد علي يعلم ذلك ويدركه تمام الادراك ولذلك فانه عمل على ان يجعل من حرب المورة صفقة رابحة يساوم بها فيجبر الدول على الاعتراف به وبتموته فهو اذن لم يشترك في حرب اليونان حبا في السلطان ولا كرها لليونان (٦٢)... وانما ليتخذها صفقة يبادل بها ما هو افضل منها . وقد كان من الممكن ان يظل ميزان الامور على ما هو عليه فترة طويلة في البلقان ... وكان من الممكن ان تجرى المفاوضات بين محمد علي والدول اثناء ذلك . ولكن وفاة القيصر اسكندر غيرت الموقف ، اذ تولى من بعده قيصر على روسيا نيقولا الاول الشاب الذي لم ير وراء هذا التسوية خيراً يرجى فعجل بالعمل وفاجأ السلطان بأنذار نهائي عرض عليه فيه شروطاً مبينة أولها الانسحاب من بلاد اليونان فخشى كائنيج ان يحل الروس المسألة على هو اهم فعجل بإرسال الدوق

٥٩ د. عزت عبد الكريم : مجمل تاريخ مصر . ص ٣٣١ - ٣٣٩

H.A.L. Fisher op. cit .PP. 879-883 .

Grant & Temperley : op .cit .PP. 256- 266 .

The New Cambridge Modern History Vol IX PP. 48-551 .

٦٠ يرى بعض الكتاب ان روسيا كانت خير عضد للقوميات وظهرها في البلقان بالذات

Ramsay Muir : Nationalism and Inter Nationalism P.87

61. W Miller : of cit p 45

٦٢ كريم ثابت : محمد علي ص ١٣٤ - ١٣٥

Dadwell : op cit

ولنحتون ليؤكد له تعزيز انجلترا لاراء القيصر . ويؤكد له انها لاترى مانعا من ان تمنح اليونان استقلالا داخليا وتظل في طاعة السلطان . (٦٣)

وبناء عليه تم الاتفاق بين روسيا وانجلترا ثم فرنسا على خطة معينة وقعت في ٦ يوليو سنة ١٨٢٧ المعاهدة المعروفة باسم معاهدة لندن بين هذه الدول الثلاث . اما هذه الخطة فهي التدخل بين تركيا واليونان لتقرير مصير المسألة اليونانية على قاعدة استقلال اليونان الداخلي مع بقاء السيادة التركية عليها ، وقضت بان تطلب الدول من الجانبين وقف حركات القتال تمهيدا لوساطة بينهما ، واتفقوا فيما بينهم على ان يعرضوا على الباب العالي هذه الوساطة فاذا لم يتبناها في مدى شهر من ابلاغه اياها لجأوا إلى القوة في تنفيذ مطالبهم . ويتلخص اجراء القوة هذا في حالة عدم قبول الباب العالي وساطة الدول الكبرى في محاصرة ابراهيم باشا وجيشه في شبه جزيرة الموره بالاساطيل البحرية حتى يضطروه إلى الازدعان .

وقد ارسلت الدول الكبرى مبعوثيها إلى الباب العالي ولكن اولئك المبعوثين لم يتالوا سوى جواب واحد هو ان ثورة اليونان مسألة داخلية بحتة ليس للدول الكبرى اى شأن بها وليس لهم حق التدخل في تطوراتها . ومن ذلك انه في (١٦) أغسطس ذهب ثلاثة مبعوثين إلى الرئيس أفندي وقدموا له مذكرة تحوي وجهة نظر الدول الاوربية الكبرى من المسألة اليونانية ولكنه رفض قبولها وفي ٢٩ أغسطس كرروا زيارتهم فقبولوا بأصرار عنيف من جانب الرئيس أفندي على الرفض وفي ٣١ أغسطس أعاد المبعوثون الكرة ثانية ولكن الرئيس أفندي عقب مناقشة جافة تدل على عدم تقديره للوقوف رفض تدخل الدول (٦٤) ولأأريد هنا ان اتعرض إلى ما دار من مناقشات ومحاورات (بين الرئيس أفندي ومبعوثي الدول الاوربية) مما هو موجود في كتاب George Douin Navarin وانما المهم من هذه المناقشات هو نتيجتها ... وهي رفض الباب العالي تدخل الدول الاوربية ... هذه النتيجة التي أدت إلى اضطراب الدول الاوربية لاستخدام الوسيلة الاخيرة في يدهم ... الا وهي القوة .

(٦٣) حسين مؤنس : الشرق الاسلامي في العصر الحديث ص ٢١٢

محمد فريد تاريخ الدولة العثمانية العلية ص ٢٤٢-٢٤٣

Wood ward:p.p.217-218

64 Dodwell : op. cit PP. 81-83 .

اما السر في هذا الاصرار من الجانب التركي رغم تهديدات الدول الاوربية المتحالفة (انجلترا + فرنسا + روسيا) فمرجعه انه لم يكن يظن ان روسيا ستبقى على اتفاقها مع إنجلترا وفرنسا وكان الباب العالي يعلم ان مترنيخ يؤيد موقفه لانه كان ينادي دائماً بضرورة اخضاع ثورات الشعوب ضد حكوماتها الشرعية في أي مكان . وقد وضع اخيراً ان المندوب النمساوي في تركيا كان يحرص السلطان على ضرورة الاسراع في اخضاع ثورة اليونان . وقد أدى كل هذا إلى زيادة اصراره حتى أنه اقسم في ساعة غضبه ... ودموعه تسيل على خديه ليقتلن كل يوناني في مملكته... واذا لم يصد هذا الاوربيين.... ليقتلن الارمن وغيرهم من رعاياه بل ليخلطن دماء الافرنج بدماء الرعايا من أهل الذمة . (٦٥)

اما محمد علي فلم تكن تجول بخاطره امثال تلك الأفكار . فقد كان غرضه الأول أن يزداد مركزه القوة سواء داخل الامبراطورية العثمانية او مستقلاً عنها مع تفضيله الاتجاه الثاني اذا سمحت الظروف بذلك . وكان محمد علي يتتبع سير الامور العالمية بعين يتتبعه . وشعر بتحرج الموقف عندما علم ان Lora Cochaen اميرال البحر الماهر قد انضم إلى خدمة الاسطول اليوناني . كما أنه استمع بروح اخرى مخالفة لروح الرئيس افندي للاعتراضات والاراء الانجليزية والواقع ان محمد علي حتى قبل ثورة شبه جزيرة الموره كان يعمل على التقرب من إنجلترا وكسب رضائها . وفي سنة ١٨٢٠ كتب Salt إلى حكومته يطلب زيارة لندن لاسباب صحية وايضاً لاسباب سياسية فيقول « أن رجلنا العظيم هفنا قد طلب مني الاتصال بكم لشرح أشياء لا يمكن استيفاءها على الورق (٦٦)

وفي سنة ١٨٢٦ ادرك كاننج Stardford Canning سفير إنجلترا في القسطنطينية ان اسهل السبل للقضاء على اصرار السلطان يكون بالحصول على تأييد باشا مصر ولذلك نراه يكتب الى Salt مندوب إنجلترا في مصر يسأله عما اذا كان الباشا لا يرى ان الافضل له ان ينسحب من الحرب ويفوز بنصيب من الجزية التي ستفرض على اليونان وربما ضمن له الانجليز ولاية الشام ايضاً . لقد انكر سولت ذلك وعده امراً خيالياً لانه كان يعتقد ان محمد علي يحارب مع السلطان قلباً وقالباً ولكنه لم يتمالك نفسه من الدهشة حين وجد ان العرض لقي من الرجل قبولاً طيباً ومن ثم بدأت مفاوضات طويلة ابدي محمد علي فيها دهاء بعيداً وحصانة طيبة ... فيقول محمد علي أولاً وقبل كل شيء انه لاسبيل لحصول الانجليز على

٦٥ شفيق غربال محمد علي الكبير ص ١٣٧

Dodwell P. 81-82

Dodwell p 83

مطالبهم من القسطنطينية فالديوان العالي مضطرب لاقصى درجة والسلطان رجل صلب الرأس ضيق الفكر ولكن كما يقول هو .. هنالك وسائل اخرى لتحقيق آمالنا ... وإيجاد الاتفاق بيننا ... وانه يريد ان يعلم ماهية العروض البريطانية لارضائه . ثم يتول متحايلا سيظل كل شيء على ما هو عليه الان حتى الربع فإذا ابنت حكومة إنجلترا خلال تلك الفترة مايدل على رغبتها في ارضائي لكننت على استعداد لان اقبل ماتعرض علي .. ولالتمست السبل لاسحب رجالي من اليونان ثم يتول مهتداً فإذا لم يكن ذلك فسأجمع قواي كلها واستعين بمالي من النفوذ على السلطان واجمع في يدي قيادة البحرية العثمانية والمصرية ثم أجعل نفسي على قيادة الحرب وانتم ذلك الامر . ولم يلبث سولت ان عرف غرض محمد علي ... فأقبل يسأله عما يطلب من الانجليز فأجابه الرجل بنهاء انه لايرجو اكثرمن ان تعاونه إنجلترا في زيادة قوة اسطولها واطلاق يده ليمتد كيفما شاء في بلاد العرب ، وعرف سولت ان الرجل يطوي في نفسه امراً آخر اكثر اهمية في ضمان موافقة إنجلترا على اعلان استقلاله اذا اضطرت الظروف الى الوثوب بالسلطان (٦٧) .

ويبدو هذا بتليل وصل الى الاسكندرية سياسي نمساوي قدير مونداف في برته من قبل مترنيخ وهذا كان prokesch osten وكان الغرض من ارساله ان يتنع محمد علي ويجرضه على الاسراع في انهاء مشكلة الموره بإرسال حملة في ذلك الشتاء للقضاء على الثوار حتى تضمن النمسا عدم ايجاد فرصة او مجال لتدخل روسيا والقوات الغربية في تلك المشكلة وقد اوضح بروكش اوستن prokesch Osten لمحمد علي ان استقلال اليونان معناها خطر مباشر على التجارة المصرية ثم ذكر له ان الانجليز لايرمون من نصائحهم التي تبدو وكأنها كريمة الا القضاء على قوته وإبائه ضعيفاً . ولم يصمت محمد علي بل انه اوضح للمندوب النمساوي عدم ارتياحه او رضائه عن العلاقات الموجودة بينه وبين الباب العالي وعدم استعداده لخدمة دولة كتركيا لاكتنف بدم مكافأته على جهوده بل تعمل على اضعافه وتعطيل اعماله بما يثيره ضده خسرو باشا من مشاكل ومتاعب . وفي ذات الوقت هو يخشى اثاره الدول الاوربية عليه اذ اعول على تنفيذ اغراض تركيا التي لن تعود عليه بنائدة تذكر . وقد اراد Prokesch ان يطمئن محمد علي من هذه الناحية ... فأخذ يؤكد له ان الدول الاوربية لن تقدم على التدخل صراحة في هذه الاشكالات... وان النمسا تؤيد الباب العالي ومحمد علي في اخضاع تلك الثورة ... ولكن ما كان محمد علي ليسمح للبعثة النمساوية ان تجتذبه الى مواصلة

حرب لا يمكن ان تنجح بدون وجود النية الطيبة والمشاركة الخالصة الأكيدة من جانب تركيا... وان مصر القائمة الان يجهود الحرب في الموره تستطيع اذا انسحبت من تلك الحرب ان تكسب قوة وعظمة لنفسها ثم قال محمد علي ايضاً اني لا ارنب الا في مصر .. ولا اود سوى فرصة مداها عشر سنوات اتمتع فيها بالسلام ... وانا اتكفل برفع مستوى مصر بنضل مالها من موارد عظيمة وثروة وافرة الى مرتبة الدول الاوربية العظمى الرابع ... انجلترا ... وروسيا ... والنمسا ... وفرنسا .. فتكون مصر خامستهم ... « ثم يقول » ماذا افيد لنا من المورة ... من كريت بل من جميع الجزائر اليونانية انا اريد ان اعمل في مصر ... ولمصر ولا اريد الا الهدوء وحرية العمل (٦٨)

ويبالغ من يظن ان محمد علي كان عليه ان يختار بين الواجب .. او الثورة بل الواقع ان محمد علي ما كان باستطاعته ان يؤدي ما يريد من خدمة الشعوب الشرقية والاسلامية في الوقت الذي ينظر فيه رجال القسطنطينية اليه نظرة الشك وعدم الثقة ... وفي الوقت الذي يابر له فيه رجال القسطنطينية المكائد والدسائس .

هذه هي النتيجة التي خرج بها Prokesh من محاوراته ومناقشاته مع محمد علي فأذن محمد علي الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يخمد الثورة اصبح غير راغب في اكمال عمله هناك . ولكن لماذا كانت هذه النتيجة ؟ لقد استخدم Prokesh كل وسائل التحبيذ والتشجيع والاغراء لكي يدفع محمد علي الى اتمام عمله في الموره . فهو تارة يحدثه عن نفوذ النمسا لدى الباب العالي وتارة يحدثه عن عظم موارد الذخيرة التي يمكن احتلالها من البندقية ... واخرى عن موارد الخشب في الليريا ..

ولكن محمد علي لم يتننع ... لانه كان كارهاً للسلطان ولا زاهداً في القضاء على ثورة اليونان . . . وانما لانه كان يريد ان يفوز من الامر بصفقة طيبة وهي كسب الانجليز الى صفه واخذ اقرار مبدئي منهم باستقلاله . كان ينتظر ان يتقدم الانجليز اليه طالبين الانسحاب لكي يساوم في الامر ويطلب الثمن «٦٩» .

ولما مضت الاسابيع دون ان تأتيه ردود طيبة من الانجليز عول محمد علي على تنفيذ خطته التي كانت ترمي الى الحصول على القيادة العليا في حرب المورة ... تلك القيادة التي كانت مثار نزاع بين محمد علي والباب العالي منذ ١٨٢٤ . والان ما قد مضى كثير من الوقت منذ فكر محمد

(٦٨) شفيق غربال: محمد علي ص ١٣٨ . Durand- Viel . P. 354 -355 .

, (69)Dodwell .P. 85 , Durand- Viel P. 354- 355 ,

علي لأول مرة في انشاء اسطول جديد. وقام هذا الاسطول بخدمات جليلة لمحمد علي وللامبراطورية العثمانية ... ورغماً من حوادث ١٨٢٤ التي اثبتت عدم كفاية خسرو باشا للقيادة البحرية فانه ظل بفضل رضا السلطان عنه معهوداً اليه بالقيادة العليا للقوات البحرية . وكان محمد علي يرمي خسرو باشا بالبله والحمق وسوء التصرف ولا يكاد يتبل بأي حال ان يصبح خسرو باشا صاحب السيادة العليا في البحر . وهو يتهم خسرو باشا بأنه لم يظهر اي جدارة في العمليات البحرية التي اجريت حول مسولونجي وان التعاون بينهما اصبح متعسراً وقد طلب محمد علي بكل صراحة وقوة ضرورة سحب خسرو باشا من قيادة الاسطول ولكن كان لخسرو باشا انصاراً عديداً في القسطنطينية ورغماً عن لجاجة محمد علي وتكراره لطلباته الا ان الباب العالي ابتاه في خدمته .

وفي شتاء سنة ١٨٢٦ بدأ محمد علي ينير موقفه ازاء الباب العالي فأرسل الى القسطنطينية يرجو ويتوسل الى السلطان ان يخفف عنه اعباء القتال والحرب ضد ثوار اليونان وان يلتمس هذا الحمل على كتف سواه من الباشوات الذين لم تنضب بدمواردهم المالية كما حدث له . واعلن ان مصر قدمت اقصى ماتستطيع ولا تستطيع ان تقدم اكثر من ذلك .

وكان هذا الاسلوب في نظر محمد علي هو الوسيلة الفضلى لفض الاشكال بينه وبين الباب العالي وقد قال محمد علي في حديث له مع قنصل انجلترا « انه يجب ان يرفع حمل هذه الحرب عن كتفي ولكن الذي اتوقعه ان يرسل الباب العالي شخصاً من ذوي المراتب العالية في الدولة ليحاول اقناعي بالاستمرار في الحرب . ولكن لن اقبل بأي حال من الاحوال ان لم يتبل الباب العالي طلباتي وخاصة خلع خسرو باشا .

ثم ان محمد علي ارسل الى ابراهيم باشا يأمره بايقاف تحركاته الحربية حتى اضطر الباب العالي في النهاية الى ارسال نجدة لمساعدة رشيد باشا الذي تزعر مركزه امام اثينا ..

ولما وجد الباب العالي نفسه في حالة سيئة بسبب حروبه الطويلة وشعر بانه غير قادر على الاستمرار في النضال منفرداً ... لم يجد بداً من ارضاء محمد علي وتحت ضغط الحاجة قبلت تركيا جميع طلبات محمد علي ففي ٩ فبراير علم في القسطنطينية انه تقرر تعيين عزت محمد باشا قبطان باشا بدلا من خسرو باشا . « ٧٠ » .

ولكن كما هي عادة محمد علي ... لالناحظ عليه عجلة حقاً انه قد بدأ استعدادات واسعة لارسال حملة قوية ولكن حتى اواسط شهر يونيو كانت اساطيله لا تزال قابعة في ميناء

(70) Georges Douin : Les Premieres Fregates de Mohamed Ali P. 73-75.

الاسكندرية وامداداته لابراهيم باشا قليلة وضعيفة . ولكنه في ذات الوقت بدأ يضغط على قنصل إنجلترا طالباً رداً سريعاً لأنه لا يستطيع ابقاء اسطوليه مدة اطول في الاسكندرية وفي ذات الوقت لاحظ الديران العالي في القسطنطينية عدم حدوث اي تقدم حربي منذ أن عهد بزيادة الامور الى محمد علي وبدأ خسرو باشا يسترد مكانته لدى السلطان (٧١) . ولما بلغ محمد علي أن السلطان قد رضي ثانية عن خسرو باشا واعاده الى مركز الخطوة لديه ، ثار واشتد انفعاله وارسل يستدعي قنصل فرنسا Drovetti ليكشف القناع عن نياته لفرنسا . ويقول Drovetti إن محمد علي اخذ يحدثه طويلاً عن متاعبه مع الباب العالي ووزرائه الناكري الجميل الذين لم يتدروا خدماته العظيمة التي قدمها للباب العالي وانهى حديثه بقوله انه لم يمد يده عن عدل الديران العالي وصدقه بما يدعوه الى الاحتراس والحذر والعمل على تأمين نفسه في المستقبل وانه قد عزم منذ الآن على السير تبعاً للخطة التي لاتتعارض مع سياسة فرنسا وان ادى ذلك الى خروجه على الباب العالي وانه مستعد لان يحقق رغبات فرنسا ازاء مشكلة اليونان . ثم أن محمد علي طلب عن طريق Drovetti ارسال رد حكومته الصريح الشافي بخصوص هذا الامر .

والان هل حقاً تحول محمد علي عن سياسته الاولى ؟ وهل ينوي حقاً الخروج على الدولة العثمانية ؟ . . . إن Drovetti يرى ذلك . . . ولكن Cuilleminot سفير فرنسا في القسطنطينية عارض دروفتي فيما رآه . . . فتراه يرسل اليه خطابات مشيرة الى المماطلات والتسويفات التي يتقنها محمد علي . . . ويرى أن محمد علي غير جاد في ارسال الحملة التي هدد بارسالها الى بلاد اليونان ثم يكتب عن محمد علي ايضاً انه اراد أن يسبق محاولة الدول العظمى للتدخل بالقوة وان لدى القوى العظمى فرصة طيبة الآن - فتستطيع أن تحدد الخطة التي سنتهجها لانهاء هذا الاشكال . اما بخصوص الاعتقاد بان محمد علي ينوي التسليم برأي الدول والقوى الكبرى ومعارضة الباب العالي فان السفير لم يصف الى ذلك اكثر من تحذير القنصل من الذهاب في الظن الى هذا الحد البعيد وذلك ... لان في استطاعة الباب العالي - وذلك كما يرى Cuilleminot باصداره فرماناً يعلن فيه خيانة محمد علي أن ينفذه مركزه في الامبراطورية العثمانية وفي الاسلام قاطبة ذلك المركز الذي كان يهم محمد علي الاحتفاظ به وهكذا كان الباب العالي يمتد ويؤمن بأن محمد علي لا يستطيع الانقلاب عليه .

(71) Dodwell ; The Founder of Modern Egypt P. 86-87 .

اما عن مجرى الامور في بلاد اليونان فانه رغما عن تولى شيرس Church القيادة العامة البرية ، كوهرين Cochrane القيادة البحرية وكلاهما من أبرع القواد الا انهما لم يستطيعا شيئا واخذت الامور تسير لصالح تركيا ومصر . (٧٠)

وفي ١١ يونيو اكد محمد علي Salt انه يرغب في تنفيذ رغبات الحكومتين البريطانية والفرنسية وطلب محمد علي الى الدول الاوروبية أن تغير خططها فبدلا من ارسال جيوشها واساطيلها الى شبه جزيرة المورة ترسلها الى الاسكندرية حتى يكون ذلك اشارة او مبرراً لانسحابه من الحرب دون اغضاب الباب العالي .

وقد ظل محمد علي مدة ٨ اسابيع اخرى متلكنا في ارسال اسطوله المارابط بالاسكندرية الى شبه جزيرة المورة وذلك رغم استعجال الباب العالي وتحريره من القنصل النمساوي له . واخيرا في ٦ اغسطس ابحر الاسطول الى عرض البحر . وبدد ابحاره يومين وصل مبعوث انجليزي في مهمة خاصة . اما هذا المبعوث القادم فكان Mager Cradock المرسل من قبل وزير خارجية إنجلترا Canning ليلبغ محمد علي بقرار الحلفاء في لندن وليقنع الباشا بضرورة الانسحاب من المورة بدون قيد ولا شرط . (٧٣)

وكان على هذا المبعوث أن يعلن أن الدول الاوروبية الكبرى قد اتفقت على عدم التدخل لصالح الترك وانها ستُرسل قوات كبيرة الى اللبانت اذا اختار الترك أن يتأوموا وان صدا ما يتبع بين الدول الكبرى ومحمد علي قد يكون فيه نهاية آمال محمد علي في توسيع تجارته وزيادة قوة اسطوله وكان Canning يرى ان هذه التهاديات كافية لكبح جماح محمد علي وطموحه الذي وصفه كاتنج بأنه لا يمد سلما متطرفا ... ولا تابعا امينا للباب العالي (وهكذا كما جاء في التعليمات التي حملها Cradock) . ورغما عن أن Cradock قد نصح اوأمر في الوقت المناسب بجنب اسلوب التهاديات الا أن مبعوثه لم تقابل بارتياح من محمد علي وكما لاحظ وذكر Salt اننا كنا نطالبه بزيادة يردى الى اصطدامه بالباب العالي دون أن نقدم له عوضا يتناسب مع مثل هذه التضحية وقد امضى محمد علي اسبوعا كاملا في مشاورات ومداولات كان فيها مثالا طيبا للدبلوماسية القدير فهو مستعد لان يضحى ببعض ارائه وافكاره في سبيل ايجاد اتفاق . وقد نصح Salt محمد علي بان يتنزه هذه الفرصة النادرة ليعلم رغباته وآماله الى الحكومة الانجليزية . وكان اول

(7٤) Duuin : Navarin P. 25-27 .

Dodwell : P. 87 .

(٧٣) شفيق غربال محمد علي ص ١٣٨ .

ما فعله محمد علي عندئذ هو أن يطلب من ابراهيم باشا اذتاف عملياته الحربية وخاصة ما كان متعلقا منها بالتقدم نحو Hydra لحين وصول اوامر اخرى. لتقف انجلترا في جانبي ... هو هذا ما يلبه محمد علي الآن الذي قال في حديث له لقد رغبت منذ زمن طويل في قيام حلف اقتصادي ودي معها ويجب عليها الآن أن تشعر أن حق واجبها الوقوف الى جانبي وقد اجاب Salt ردا على هذا ومعبرا عن رأيه الخاص انه عندما تأتي الفرصة المناسبة اذا وقف محمد علي في جانب انجلترا فان انجلترا لن تتخلى عنه وعندئذ اندفع محمد علي في سرد آماله واضاء وجهه ... وبرقت عيناه وهو يقول إن سوريا ودمشق وبلاد العرب خاضعة لي .. فاذا ايدتني حكومتكم كما ارجو واتمنى واذا اعترمت بي عندما تأتي الفرصة المناسبة كأمر مستقل فاني سأكون راضيا وقبل رحيل كرادوك Cradock وفي حديث له مع برغوص بك اكثر رعايا الباشا اخلاصا واحدهم ذهنا ذكر له معبرا عن رأيه الخاص انه اذا استطاعت مصر أن تكون مستقلة فان انجلترا ستهم بامرها . (٧٤)

وهكذا انتهت هذه المحادثات دون نتيجة وقد ابان محمد علي اعضاء البعثة الانجليزية أن جيوشه ستوقف عملياتها الحربية في شبه جزيرة المورة ، وحيث قال المندوبين الانجليز انه في هذه الحالة يستطيع محمد علي الاعتماد على كرم الانجليز وكان المؤسف حقا في امر بعثة Cradock انها لم تصل الى الاسكندرية في الوقت المناسب حتى تستطيع اقناع محمد علي باشا بدم ارسال اسطوله الى شبه جزيرة المورة حيث لقي حتفه .

وكان محمد علي واقعا بين شطرى الرجا فهو اذا اراد ارضاء الباب العالي كان عليه أن يخضع ثورة المورة ... واذا اراد ارضاء انجلترا وفرنسا كان عليه الانسحاب من المورة وهو لا يستطيع الانحياز الى احد الفريقين دون أن يكون عرضة لسخط الفريق الآخر ولذا كان موقف محمد علي حرجا للغاية . (٧٥)

وفي (٥) اكتوبر عزم محمد علي على اسماع الباب العالي صوت العقل والحكمة فبعث الى مندوبه في القسطنطينية يقول إن طلبات وتهايدات الدول الكبرى قد تكون طبلا اجوف

(74) Durand- Viel P. 378 - 379 ; Dodwell P. 88 .

Douin : Navarin P. 150 .

Dodwell : op cit P. 88 .

(75) Durand -Viel : P. 382 -383

Dodwell : P. 89 .

... ولكن ليس من المعقول أن تكون تلك التهديدات جدية، ولو أن الاساطيل
الاوربية اشتبكت مع اساطيلنا فاني لا اتوقع لاساطيلنا الصمود كما أن حدوث اشتباك
سيكون معناه فناء ٣٠ - ٤٠ الف جندي يمكن انقاذ ارواحهم وانه ليس من
الحكمة أن نقول اننا نضع كل اتكالنا على الله في مثل هذه الشؤون الحربية ... بل يجب
أن نعد اقصى مايمكن من العدة والله ينصرنا . (٧٦)

وارسل محمد علي ابضا في ٨ أكتوبر الى ابنه ابراهيم قائلا او كان النضال بيننا وبين
اليونان لما منعتك عن مواصلة القتال ... ولكن حيث أنه تطور حتى أصبح ضد الدول
الكبرى ... فيجب علينا أن نأخذ جانب الحذر وان مواصالتنا القتال ليس معناه فقد الاسطول
... وموت ٣ - ٤٠ الف من جنودنا فقط بل انه قد يؤدي الى فساد العلاقات بيننا
وبين الدول الاوربية نهائيا . وليس في هذا شيء من الضعف او التراخي ... لانه ليس من
الحكمة أن نعادي ثلاث من القوى الكبرى ثم يطلب محمد علي من ابراهيم باشا تجنب
القتال وعدم اتباع اوامر السلطان الخاصة بمواصلة القتال واتباع نصائحه هو
حرفيا . (٧٧)

وقد حدث لسوء الحظ ماكان يخشاه محمد علي ويتوقعه . ذلك أن قواد الاساطيل
المتحالفة الاوربية De Rigny ، Codrington وقائد الاسطول الروسي ظهروا
على مسرح المورة ابتداء من ١٣ اكتوبر وبدأوا الضغط على القوات المصرية والتركية
العاملة في داخل المورة . ثم تم لهم الاتصال بابراهيم باشا الذي وعدهم بالكف عن الحركات
الحربية لمدة شهر ولحين ورود اوامر اخرى من الباب العالي ومن ابيه . وقبل اليونان
شروط الهندنة التي ارادت أن تفرضها القوى الكبرى..ولكن الباب العالي اصر على الرفض .

وفي تلك الفترة التي اوقف فيها ابراهيم باشا حركاته الحربية تخرج مركز قواته في patras
فعول على مساعدتهم ولما حاول نجاتهم باسطول بحري لحق به Codrington واضطره
للاجوع ولكن لما تفاقت الحالة عول ابراهيم على نجاتهم برا وعندئذ حدث الاشتباك
البحري الذي بدأ الساعة الثامنة من بعد ظهر يوم ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ وذلك عندما

(٧٦) شفيق غربال : محمد علي ص ١٣٩ .

Durand- Viel : P. 382- 383 .

(77) Dodwell : P. 89 ; Durand -Viel :P. 382 -383 .

دخل اسطول الدول المتحالفة خليج نافازينو وانتهى الامر بتحطيم جميع قطع الاسطول المصري والتركي تقريباً. (٧٨)

وقد قوبل هذا الحدث بذهاب عظيم من جانب اليونانيين ولكنه اذهل الدول الاوربية التي اتفقت على استخدام الاسطول وسيلة للضغط على الباب العالي ومحمد علي لا للقيام بمعارك حربية . وعلى اي حال فان هذا الحادث ولو انه لم يكن موافقا تماما لرغبات الدول الاوربية الا انه حقق مأربها من حيث اضعاف مركز الباب العالي ومحمد علي في بلاد اليونان .

ولكن هذه الحادثة كانت ضربة قاضية لآمال محمد علي فلو أن البعثة الانجليزية كان بلغت الاسكندرية قبل رحيل اسطوله يومين لما ارسل اسطوله الى المورة وما وقعت هذه الكارثة ، وما خسرت مصر ثلاثين الفا من بين اثنين واربعين الفا من رجالها الذين ارسلتهم لليونان ، وما خسرت ٧٥٣ قطعة حربية من بين ٧٨٢ غير $\frac{3}{4}$ مليون جنيه (٧٩) اما عن ابراهيم فانه والباب العالي كانا على شبه اتفاق بضرورة التراجع إلى شمال بلاد اليونان لئبتعدا عن تأثير الاسطول الاوربي وضغطه .

ولكن محمد علي عزم على وضع حد لهذه الخطط الفاشلة ... ففي اليوم التالي لبلوغ هذه الانباء إلى مسمع محمد علي اعلن للقنصل الانجليزي انه في حالة نشوب حرب بين تركيا وبريدانيا سيكون رعايا انجلترا في مصر في امان ثم قال محمد علي « اني اعرف جيداً كيف احتفظ بالشهرة التي اكتسبتها عن عدلي وحبي للحرية » (٨٠) ذات يوم ارسل محمد علي إلى ابنه آمرا ايا . بإيقاف جميع العمليات الحربية ضد اليونان . وهكذا اوقف ابراهيم عملياته الحربية في شبه جزيرة المورة إلى ان تم الاتفاق على انسحابه . وفي ٦ اغسطس سنة ١٨٢٨ زار Codrington الاسكندرية ووقعت معاهدة مع محمد علي اخلت بمقتضاها شبه جزيرة المورة على الشروط الاتية :

(78) W. Miller : op . cit P. 97

(٧٩) كريم ثابت : محمد علي ص ١٢٤ - ١٢٥ .

L. Woodward : op. cit PP. 219-220 .

P. K. Hitti : History of the Arabs . P. 725 .

(٨٠) Barker J .: Syria & Egypt P II P. 58 .

- ١ - إعادة الاسرى اليونانيين وتحرير من بيع منهم بمصر .
 - ٢ - يتعهد الاميرال الانجليزي بإرجاع الاسرى المصريين وإعادة السفن المصرية التي اسرت اثناء القتال .
 - ٣ - ان تخلي الجنود المصرية الموره وينقلهم محمد علي على سفنه .
 - ٤ - الا يكره اليونانيون المقيمون بمصر على الرحيل عنها ولا يجبرون على البقاء فيها، وكذلك يسمح لمن يشاء من اليونانيين ان يصحبوا الجيش المصري في عودته لمصر وقد تم انسحاب الجيش المصري من الموره في اكتوبر سنة ١٨٢٨ .
- اما عن السلطان فانه لما كان مصر على آرائه وافكاره فقد انتهى الامر إلى اشتباكه مع الروس في حرب ضروس انتهت بإمضائه معاهدة ادرنه .
- وهكذا انتهت مشكلة المورة ولكن السلطان استطاع في الحقيقة ان يستخدمها وسيلة لضعاف تايمه المحسود فمهما لاشك فيه ان محمد علي قد اصبح اقل قوة مما كان عليه قبل تدخله في هذه المشكلة (٨١) .

وقد نسب محمد علي هذه الكوارث التي حاقت به الى السلطان الذي اراد العمل معه على وجه استغلاله إلى اقصى حدود الاستغلال . ذلك السلطان الذي اثبت هو ورجاله في ازمة نافارينو وفيما قبلها وبعدها اثبت كما يقول محمد علي ... انه يتشبث تشبث الخنزير ، واثبت رجاله انهم ابلد من الحمير . وبان له ايضا ان اوربا على اختلاف الاهواء قد تتحد ... وبان له ثالثاً انه لكي يساوم ينبغي ان يكون يديه ما يساوم به وعليه . فلم يكفه الاستعداد للجلاء عن الموره للمساومة ... وبان له اخيراً ان انجلترا لا تتحمس ... كثيراً في الاحوال السياسية العادية لايخراج المباحثات السياسية من نطاق المسائل المحددة إلى نطاق المبادئ السياسية العامة (٨٢) .

خلاصة الامر ان محمد علي على اخف الاحتمالات قل وثوقه بإمكان وضع سياسة مشتركة بين القاهرة واستنبول وزاد اعتقاده في ان محموداً سلطان تركيا ورجاله يسرون سيراً حثيثاً نحو دمارهم ودمار الدولة العثمانية . فنجاح ثورة اليونان سيتلوه ثورات بين الصرب والبغار وغيرهم في الولايات الاوربية ، وفرنسا ابتلعت الجزائر ، والقيصر نقولا يتقدم بالنفوذ الروسي فيما بين البحر الاسود وبحر القزوين في اتجاه ايران والخليج العربي .

« ٨١ » عبدالرحمن الرافعي ص ٢٢٦ — ٢٢٧

Dodwell:p. 90-92 Barkes:Syria and Egypt p.58.

« . » شنين غربال:محمد علي الكبير ص ١٣٩ — ١٤٠

J. P. T. Bury : france 1814-1940 P. 43

فماذا يصنع محمد علي - انه يخشى على ولايته وعلى كل ما بناه اقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً في مصر عبر سنوات طويلة فهل ينتقل كل هذا التراث الى باشا اخر من باشوات السلطنة يبدده كما هي عادة الباشوات ولذا فلا بد له من الضمانات لبقائه .

هذه الضمانات هي في نظره مما لا يتوفر الا بالسيطرة على المنطقة العربية ، مصر وبلاد الشام وساحل العرب والعراق ان امكن لانها تكمل بعضها اقتصادياً مما يسهل له مهمة الدفاع عنها على ان يكون ذلك داخل نطاق السيادة العثمانية فان ابت فمستقلاً عنها . وفي الحالة الاخيرة يسعى لتأكيد مركزه باعتراف الدول الاوربية به تقديراً لقوته ومدى ما يستطيع تقديمه لها من خدمات . وعلى هذا المحور ستدور معظم سياسة مصر ومحمد علي الخارجية في الثلاثينات والاربعينات من القرن التاسع عشر . (٨٣)

المصادر

- ١ - المحفوظات المصرية - وثائق عابدين - القصر الجمهوري بالقاهرة وجاري نقلها الى دار الكتب الجديدة ، بولاق - القاهرة.
- ٢ - المحفوظات الانجليزية - وزارة الخارجية - لندن F. O.
- F. O. 78/381 - Jurkey. Report on Egypt and Carodia - by Dr J , Bowring
- (هذا التقرير مترجم وطبع كأحد ملاحق كتاب د. محمد فؤاد شكري (بناء دولة مصر محمد علي) عبد الكريم وسواه : مجمل تاريخ مصر القاهرة ١٩٤٥
- ٤ - د. اسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية - بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي (٤) بروت الخ
- ٥ - ادوارد جوان : مصر في القرن التاسع عشر . القاهرة ١٩٢١
- ٦ - أميل لودفيج : نابليون - ترجمة عن الألمانية للعربية محمود ابراهيم الدسوقي - دار الكاتب المصري - القاهرة ١٩٤٦ .
- ٧ - أمين سامي باشا : تقويم النيل وعصر محمد علي باشا - القاهرة ١٩٢٨
- ٨ - د. حسين مؤنس : الشرق الاسلامي في العصر الحديث - القاهرة
- ٩ جورج حداد : تأريخ أوروبا والمسألة الشرقية - حلب ١٩٤٨
- ١٠ شفيق غربال : محمد علي الكبير (مجموعة اعلام الاسلام) القاهرة
- ١١ - داؤد بركات : ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا - القاهرة ١٩٣٢
- ١٢ - عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج ٣ ، ج ٤ القاهرة ١٣٢٢ هـ .
- ١٣ - عبد الرحمن الرافعي : تأريخ الحركة القومية ج ٣ القاهرة ١٩٣٠
- ١٤ - البكباشي عبد الرحمن ذكر : الجيش المصري في عهد محمد علي - القاهرة
- ١٥ - عمر طوسون (الأمير) : البعثات العلمية الاسكندرية ١٩٣٤
- صفحة من تأريخ مصر في عهد محمد علي : الجيش المصري البري والبحري - القاهرة ١٣٥٩ - ١٩٤٠ م
- ١ - كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر (٢) ترجمه من الفرنسية الاستاذ / محمد بك مسعود - القاهرة - بدون تأريخ
- ١٨ - د. محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي القاهرة ١٩٤٨ .
- ١٩ - محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية - مصر المحمية ١٨٩٣ .

- 20 Barker J : Syria and Egypt (2Vols)1876.
- 21 Bowring J : Report on Egypt and Candia .Lon .1940
- 22 Bury J P.T. : France 1814 -1940 .Lon . 1969
- 23 The New Cambridge Modern History Vol IX
- 24 Carlton J.H. Hayes : A Political and Social History of Modern Europe
Vol II 1815- 1924 .New York 1924
- 25 Cataui R: Le Regne de Mahamed Aly d' apres les Arechieves Russes
en Egypte .
- 26 : Rapports Consulaires de 1819 a ' 1833. Caire 1931 .
- 27 Clat, A. B.:Histoire de Mohamed-Ali , vice-rois d' Egypte, Marseille 1861
- 28 Douin G .: Navarin. Caire 1927
- 29 : Les Premieres. fregates De Mohamed A i 1824- 1827 .
- 30 : La Mission du Baron Baislecomte
- 31 Dodwell H :The founder of Modren Egypt:A study of MuhammedAli
- 32 Driault E:L Expedition De Crete et De Moree 1823-1828. Caire 1930
- 33 : La formation de L ' Empire de Mahamed Aly 1823-1827.
Caire 1927 .
- 34 Mohamed -Aly et Ibrahim 1933.
- 35 Durand-Viel:Les Campagnes Navales De Mohamed Aly et D' Ibrahim
Vol I
- 36 Damer , D.G.L.:Diary of a tour in Greece, Turkey,Egypt and the Haly
Land (2 Vols) Lond 1841
- 37 Documents Diplomatiques ,Relatifs a La Question d ' Orient Paris 1842
- 38 Encyclopaedia Britannica (1973) Vol 14 .
- 39 Finlay G . : History of he Greek Revolution Vols VI& V II (1877).
- 40 Fisher F-J A Hlstory of English life . Williams .Ellis Lond 1939.
- 41 Fisher H. A. L. : A History of Europe Lon .(1941)
- 42 Fyffe ,C.A. : History of Modern Europe .1924
- 43 Grant&Temperley:Europe in the Ninetcenth and Twentieth Centuries
(1789-1939) Lond . 1942 .
- 44 Ghorbal ,S.:The Beginnings of the Egyptian Question and the Rise o
Mehemet Ali .Lond . 1928 .

- 45 Gou'n , G . : L' Egypte au XIX siecle . Paris .
- 46 Gisquet J. H. :L' Egypte, les Turcs e les Arabes (2 Vols) Paris 1848.
- 47 Guemard ,G. : Les Reformes en Egypte· Paris .
- 48 Hamont (P.N.) : L' Egypte sous Mehemet Ali .Paris .
- 49 Hitti,philip K.:History of the Arabs from the Earliest Times to the Present . 8thed ., London 1964 .
- 50 Hourani ,A. : A Vision of History . Beirut 1961
- 51 Jebb ,Sir R.C. : Modern Greece 2nd editoin (1901).
- 52 Ketelbey , D.M.: A Short History of Modern Europe ,from 1789 to The Present Day Oford (1934)
- 53 Lauvergre H. : Souvenirs de La Grece en 1825. (Paris)
- 54 Mauriez P.: Histoire de Mehemet Ali (paris)
- 55 Madden ,R.R. : Egypt and Mohammed Ali (Lond1841)
- 56 Mengin F. : Histoire sommaire de L' Egypte sous Le gouvernement de Mahammed Aly . Paris(1939).
- 57 Miller , W. : The Ottoman Empire 1801-1913 (Cambridge. 1913) .
- 58 Muir,R.: Nationalism and Internationalism 3rd impression .Lond 1918
- 59 Phillips ,W A : The War o` Greek Independence (1897) ; idem
- 60 Mahomet Ali Lond (1907)
- 61 Planat , J : Histoire de La Regeneration d ,Egypte
- 62 Prathero , R E : Lord Byron ,letters and Journals Vol VI (1904)
- 63 Puckler- Muskau : Trave s and Adventures in Egypt
- 64 Rustum ,A J:Mateials for a corpus of ArabicDocuments relating to the History of Mohammed Ali Pasha (5 Vols) Beirut 1930-1934
- 65 Sabri M : L'Empire Egyptien sous Mohammed Ali et La Question d' Orient 1811- 1849
- 66 Schopoff, A · : Les reformes et La protection des chretiens on Turquie (1673-1904) Paris . 1904 .
- 67 Scott , R. : Rambles in Egypt and Candia 1837) 2 vols .
- 68 Sergeant ,L. : Greece in the 19th Century (1821 - 1897)
- 69 Stojanovic, M . D.:The Great Powers and the Balkans.Cambride 1968.
- 70 Talmas, G . (Bey) : Recueil de La Correspondance de Mahamed Ali, Khedive d' Egypte (du 1 er Avri 1807 au 12 Juillet 1848) Le Caire 1931 .

- 71 Temperley H. : George Canning (1926) Lon .
- 72 Thomson , D. : Europe since Napoleon 2 nd ed., London 1 65 .
- 73 Toynbee A. :A Study of History 3 Vols, 1934
- 74 Treaties.bewteen Jurkey and foreign Powe s, Comp led by the Librarian
and Keeper of the papers , Foreign Office (1535 - 1855) Lond, 1855.
- 75 Webster, I :Travels through the Crimea Tu key and Egypt, performed
during the years 1825 - 1828 Lond 1830 .
- 76 Woodward, Sir L.:The Age of Refom 1815 - 1870 3ded Oxford 1964
- 77 Young G. : Egypt (1927) .